

بسم الله الرحمن الرحيم  
اللهم صل على محمد و آل محمد



از نگاه علامه

رساله توحيد ، افعال اسماء و وسائط  
علامه محمد حسين طباطبائي



مدرسه دانشجويي قرآن و عترت عليهم السلام

تهران: ميدان انقلاب - خيابان ۱۶ آذر - پلاک 25

تلفن: ۰۹۱۲۵۵۴۹۸۴۴ - ۸۸۹۶۸۳۰۹



مدرسه قرآن و عترت عليهم السلام

فهرست مطالب کتاب، حاوی ۴ رساله :

رساله التوحيد: صفحه ۲ / رساله الاسماء: صفحه ۱۳

رساله الافعال: صفحه ۳۷ / رساله الوسائط: صفحه ۷۲

رسالة التوحيد

هو الله عزَّ اسمه

رسالة في التوحيد

و هي الرسالة الأولى من كتاب التوحيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أوليائه المقربين محمد وآله الطاهرين.

إن في الوجود موجوداً واحداً واجب الوجود مستجمعاً لجميع صفات الكمال.

أقول: وقد أقام على وجوده و صفاته المليون من المسلمين وغيرهم براهين حجة تامة معروفة؛ و نحن  
ثبتها هنا مبلغ فهمنا من حقيقة هذا المعنى الى فصول.

## فصل ١

[الوجود بين الحقيقة والوهم]

ليتأمل فيما يقوله السوفسطائيه، من أن العالم موهوم؛ و ما يقوله الفيلسوف، من ثبوت الحقائق في الخارج؛  
و هذا المعنى و ان لم يكن له تفسير و بيان تام، غير أنا ندرى ما نقوله و ما يقولون. فمرادنا من لفظ  
الأصيل، و الواقع، و ما في الواقع، و الحقيقة، و الوجود، و منشأ الآثار هو الذي ثبته في قبالهم.

## فصل ٢

[الوجود حقيقة أصيله]

فحيث إن الوجود حقيقة أصيلة، و لا غير له في الخارج لباطلانه فهو صرف؛ فكل ما فرضناه ثانياً له فهو  
هو؛ اذ لو كان غيره أو امتاز بغيره كان باطلاً؛ فالثاني ممتنع الفرض؛ فهو واحد بالوحدة الحقّة على ما تقدّم.  
و من هنا يظهر أنه مشتمل على كل كمال حقيقى في ذاته بنحو العينية.  
و حيث ان الوجود بذاته يناقض العدم و يطارده فهو بذاته غير قابل لطر و العدم عليه فهو حقيقة واجبة  
الوجود بذاتها.

فحقيقة الوجود حقيقة واجبة الوجود بالذات، و من جميع الجهات، مستجمعة لجميع صفات الكمال، منزهة  
عن جميع صفات النقص و العدميات.

### فصل ٣

#### [واجب الوجود ارفع من كل تعين]

حيث إن كل مفهوم منعزل بالذات عن المفهوم الآخر بالضرورة، فوقوع المفهوم على المصداق لا يخلو عن تحديد ما للمصداق بالضرورة، وهذا ضروري للمتأمل. و ينعكس الى أن المصداق الغير المحدود في ذاته وقوع المفهوم عليه متأخر عن مرتبه ذاته نوعاً" من التأخر؛ وهو تأخر التعيين عن الإطلاق. و من المعلوم أيضاً أن مرتبة المحمول متأخر عن مرتبة الموضوع. و حيث إن الوجود الواجبى صرف، فهو غير محدود؛ فهو أرفع من كل تعين اسمي و وصفي، و كل تقييد مفهومي حتى من نفس هذا الحكم. فلهذه الحقيقة المقدسة إطلاق بالنسبة الى كل تعين مفروض حتى بالنسبة الى نفس هذا الإطلاق؛ فافهم.

### فصل ٤

#### [التوحيد في القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام]

و معنى ما ذكرناه في الفصول السابقة متكرر في الكتاب و السنة.  
فمنها: الآيات الكثيرة الدالة على أن لله ما في السماوات و الأرض<sup>١</sup>، « و لله ملك السماوات و الأرض »<sup>٢</sup>، « و له ما سكن في الليل و النهار »<sup>٣</sup>. إذ من الواضح أن هذا الملك ليس هو الملك الاعتباري الموهوم المعبر عند العقلاء لغرض التمدن؛ بل هو نسبة حقيقة؛ و النسب الحقيقة لاتتم إلا بقيام المنسوب بالمنسوب اليه وجوداً و ذاتاً.  
و لعمرى لو لم يكن في كتاب الله إلا آيتان، و هما قوله عز اسمه: « و ما خلقنا السماوات و الأرض و ما بينهما لاعيين \* ما خلقناهما إلا بالحق و لكن أكثرهم لا يعلمون »<sup>٤</sup> لكان فيهما كفاية أن يفهم الإنسان الحر حقائق هذه المعاني.

<sup>١</sup> - كقوله تعالى: « وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ » (النجم: ٣١).

<sup>٢</sup> -

<sup>٣</sup> - الأنعام: ١٣.

<sup>٤</sup> - الدخان: ٣٨ و ٣٩.

فالإِنسان إذا انتزع عن زخارف هذه الدنيا، وأعرض عن عرض هذه الأدنى، ووحّد الهمّ، ووجّه الوجه نحو الرّبّ الأعلى، وأشرف نحو عالم القدس، شاهد عياناً أنّ هذه الأمور التي دارت بين أبناء الدّنيا، من المطالب والمقاصد والأغراض والآمال والآثار، من الملك والأمر والعظم والرئاسة والتقدّم والعزّة والنسب والأنساب والأحساب ومقابلاتها، وآلاف من أنحائها، إنّما هي أمور موهومة وملاعب وملاهي وأمتعة الغرور؛ وكذلك أنواع اللذائذ والنعم والاستفادات التي يتنافس فيها المتنافسون ويعمل لها العاملون ويلتقي دونها المنون إنّما هي أوهام سخر الله سبحانه عليها أرباب الحياة ليبلغ الكتاب أجله؛ والله امرٌ هو بالغه.

فاذا رأى هذا الإنسان أنّ الحقّ عزّ اسمه في كتابه ولسان رسوله والسنة أوليائه ينسب إلى نفسه أنّه رحمنٌ رحيمٌ خالقٌ مالكٌ عزيزٌ حكيمٌ غفورٌ شكورٌ، وأنّ له كلّ اسم أحسن، وأنّه منزّه عن كلّ قبيح ونقص؛ وهذا الإنسان يعلم أنّ هذه معانٍ حقيقة، ونسب واضافات ثابتة، أيقن بلطف القريحة وسلامة الذوق أنّ هذه النسب أنحاء قيام ذوات الموجودات بالحقّ عزّ اسمه وقيامه سبحانه بذاته. ثمّ أكّد له ذلك شهود الحقّ سبحانه على كل شيء بحسب خصوص ذاته: «أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»<sup>١</sup>.

ثم قرّره على ذلك البرهان. فإنّ النسبة الحقيقة الثابتة بحسب ذات الشيء، كخلق الحقّ سبحانه وملكه لذات الشيء، يجب أن تتحقّق في مقام الذات؛ وحيث إنّها وجودات رابطة فلا تتحقّق إلاّ مع طرفيها. فالمنسوب إليه متحقّق هناك بالضرورة؛ فبالضرورة إحدى الذاتين قائمة بالآخرى؛ وإلّا لزم وحدة الاثنين، وهو محال. فملك الحقّ سبحانه للموجودات نحو قيام ذاتها به سبحانه؛ وكذلك سائر النسب والمعاني؛ فافهم.

[ الروايات الداله على أنه تعالى واحد لا بالعدد ]

ومنها: الأخبار الكثيرة المستفيضة في أنّه تعالى واحد لا بالعدد. فقد روى الصّدوق رحمه الله في التوحيد<sup>٢</sup> والخصال<sup>٣</sup> والمعاني<sup>٤</sup> مسنداً عن شريح بن هانئ قال:

<sup>١</sup> - فصلت: ٥٣.

<sup>٢</sup> - التوحيد: ب ٣ ص ٨٣ ح ٣.

<sup>٣</sup> - الخصال: ج ١ ب ١ ص ٢ ح ١.

<sup>٤</sup> - معاني الاخبار: ب ٦ ص ٥ ح ٢.

« إنَّ أعرابياً قام يومَ الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين أتقول: إنَّ الله واحدٌ؟ قال: فَحَمَلَ الناسُ عليه، وقالوا: يا أعرابىُّ أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسُّم القلب؟ فقال أمير المؤمنين: دَعُوهُ، فإنَّ الذى يريدُه الأعرابىُّ هو الذى نريده من القوم. ثمَّ قال عليه السلام: يا أعرابىُّ، إنَّ القولَ فى أنَّ الله واحدٌ على أربعةِ أقسام؛ فوجهان منها لا يجوزان على الله عزَّوجلَّ، ووجهان يثبتان فيه.

فأمَّا اللذان لايجوزان عليه فقول القائل: واحدٌ، يقصد به باب الأعداد، فهذا لا يجوز، لأنَّ ما لا ثانى له لا يدخل فى باب الأعداد. أما ترى أنه كفر من قال: إنَّه ثالثٌ ثلاثة. و قول القائل: هو واحدٌ من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز، لأنَّه تشبيه، و جلَّ ربُّنا و تعالى عن ذلك.

و أمَّا الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحدٌ ليس له فى الأشياء شبهة، كذلك ربُّنا. و قول القائل: إنَّ عزَّوجلَّ احدىُّ المعنى، يعنى به أنَّه لا ينقسم فى وجود و لا عقل و لا وهم؛ كذلك ربُّنا عزَّوجلَّ».

و فى التوحيد مسنداً عن هارون بن عبد الملك قال: سئل الصادق عليه السلام عن التوحيد فقال: « هو عزَّوجلَّ مُثَبَّتٌ موجودٌ، لا مُبْطَلٌ و لا معدودٌ »<sup>١</sup>، الخبر.

و فى نهج البلاغة فى خطبة له عليه السلام: « واحدٌ لا بعَدَدٍ »<sup>٢</sup>.

و فى خطبة أخرى له: « واحدٌ لا من عددٍ »<sup>٣</sup>.

و فى خطبة أخرى له: « و من حدَّه فقد عدَّه »<sup>٤</sup>.

و بالجملة، الأخبار و الخطب مستفيضة فى هذا المعنى؛ و هذا كالصریح فى أنَّ وجوده تعالى صرفُ الحقيقة، لا يعزب عنه وجود؛ إذ لو كان مع وجوده وجود، بحقيقة معنى الموجود، عرض عليهما العدَّ بالضرورة؛ فهذا واحدٌ و ذاك ثانٍ؛ فلاوجود مع وجوده سبحانه إلَّا قائم الذات بوجوده؛ كما فى حديث موسى بن جعفر عليهما السلام:

« كان اللهُ و لا شىءَ معه، و هو الآنَ كما كان »<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> - التوحيد: ب ١١ ص ١٤٠ ح ٤.

<sup>٢</sup> - نهج البلاغة: صبحى الصالح، الخطبة ١٨٥ ص ٢٤٩.

<sup>٣</sup> - التوحيد: ب ١ ص ٧٠ ح ٢٦.

<sup>٤</sup> - نهج البلاغة: صبحى الصالح، الخطبة ١٥٢ ص ٢١٢.

و فى التوحيد<sup>٢</sup> و المعانى<sup>٣</sup> و الاحتجاج<sup>٤</sup>، عن هشام عن الصادق عليه السلام، قال للزنديق حين سأله عن الله، ما هو؟ قال: «هو شىءٌ بخلاف الأشياء، إرجع بقوله<sup>٥</sup> شىء الى اثبات معنى، و أنه شىء بحقيقة الشىئية، غير أنه لا جسم و لا صورة»؛ الخبر.

و منها: أخبار أخر فى التوحيد؛ ففى التوحيد<sup>٦</sup> و الأمالى<sup>٧</sup> و غيرهما مسنداً عن الرضا عليه السلام فى خطبته: «أحدٌ لا بتأويلٍ عددٍ، ظاهرٌ لا بتأويلٍ المباشرة، متجلٌ لا باستهلالٍ رؤية، باطنٌ لا بمزايلة»، الخطبة.

و فى التوحيد، مسنداً عن عمّار بن عمرو النصيبى، قال: سألت جعفر بن محمّد عن التوحيد. فقال: «واحدٌ صمدٌ، أزلىٌّ صمدىٌّ، لا ظلٌّ له يمسه، و هو يُمسك الأشياء بأظلتها؛ عارف بالمجهول، معروف عند كلِّ جاهل، فردانىٌّ، لا هو فى خلقه و لا خلقه فيه»<sup>٨</sup>. و الأخذ بالظلمة هو تقويم الحق عزّ اسمه الأشياء بالمهيئات و التعيّنات. و بعبارة أخرى ظهور الحق سبحانه فى المظاهر بالتعيّنات الماهويّة و إطلاقه سبحانه فى نفسه.

و قد ورد تفسير الظلّ فى بعض أخبار الطينة؛ ففى خبر عبدالله بن محمد الجعفى و عقبه المروى فى تفسيرى على بن ابراهيم<sup>٩</sup> و العياشى<sup>١٠</sup> عن أبى جعفر عليه السلام: «ثمَّ بعضهم - أى الخلق - فى الظلال. قلت: و أى شىء الظلال؟ قال: ألم ترالى ظلّك فى الشّمس شىء، و ليس بشىء»؛ الخبر. و هذا هو المهيئات، أو الوجودات المستعارة بالعرض.

و فى بعض خطب على عليه السلام: «دليله آياته، و وجوده اثباته، و معرفته توحيدُه و توحيدُه تمييزُه من خلقه، و حكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة»<sup>١١</sup>، الخطبة. و هذه الكلمة أنفس كلمة و أجزها فى التوحيد، و لها كمال الدلالة على ذلك.

<sup>١</sup> - نقله الصدوق فى التوحيد (ب ١ص ٦٧ح ٢٠) هكذا: «كان الله و لا شىء معه».

<sup>٢</sup> - التوحيد: ب ٣٦ص ٢٤٤ح ١.

<sup>٣</sup> - المعانى الأخبار: ب ٨ص ٨ح ١.

<sup>٤</sup> - الاحتجاج: احتجاجات الامام الصادق عليه السلام ج ٢ص ٣٢٢.

<sup>٥</sup> - فى المصدر: «يقولى».

<sup>٦</sup> - التوحيد: ب ٢ص ٣٧ح ٢.

<sup>٧</sup> - الأمالى للشيخ الطوسى: ج ١ص ٢٢.

<sup>٨</sup> - التوحيد: ب ٢ص ٥٧ح ١٥.

<sup>٩</sup> - تفسير على بن ابراهيم القمى: ج ٢ص ١١.

<sup>١٠</sup> - تفسير العياشى: سورة يونس ح ٣٧ ج ٢ ص ١٢٩.

<sup>١١</sup> - الاحتجاج: احتجاج على عليه السلام فيما يتعلّق بتوحيد الله ص ٢٠١، بحار الانوار: ج ٤ ص ٢٥٣.

و فى نهج البلاغة<sup>١</sup> و فى التوحيد<sup>٢</sup> مسنداً عن الصادق عليه السلام عن على عليه السلام فى خطبة خطاباً خطاباً لذعلب : « هو فى الأشياء كلها غير متمازج بها و لا بائن عنها »، الخطبة.

و فى التوحيد مسنداً عن مسلم بن أوس، عن على عليه السلام : « بل هو فى الأشياء بلا كفيّة »، الخطبة<sup>٣</sup>.

٣ . و هذا المعنى و ما يقرب منه متواتر فى الخطب و الأخبار.

### [ الروايات الداله على نفى الصفات الزاءده على الذات ]

و منها : الأخبار النافية للصفات، و هى معنى الفصل الثالث؛ ففى نهج البلاغة فى خطبة له عليه السلام : « أولّ الدين معرفته، و كمال معرفته التصديقُ به، و كمال التصديقُ به توحيدُهُ، و كمالُ توحيدِهِ الإخلاصُ له، و كمالُ الإخلاصُ له نفى الصفات عنه »<sup>٤</sup>.

و فى خطبة أخرى له عليه السلام : « أولّ عبادة الله معرفته، و أصل معرفته توحيدِهِ، و نظام توحيدِهِ نفى الصفات عنه »<sup>٥</sup>.

و فى هذا المعنى أخبارُ أخرى أيضاً، و هذه الأخبار يفسرها أخبارُ أخرى : إنّ المراد من الصفات المنفيّة ليست هى الصفات المحدثه، بل أصل الوصف المفيد للتحديد و المغاير للذات.

ففى اثبات الوصيّة للمسعودى عن عليه السلام فى خطبة : « فسبحانك ملأت كلّ شيء و باينت كلّ شيء، فأنت لا يفقدك شيء، و أنت الفعّال لما تشاء، تباركت يا من كلّ مدرّك من خلقه، و كلّ محدود من صنعه »<sup>٦</sup> الخطبة.

و خطب علىّ الرضا عليه السلام و كلمات سائر الأئمة عليهم السلام مملوءة من هذا المعنى؛ و من المعلوم أنّ نفس الصفة تحديد و تعيين، و نفس المفهوم مدرّك، فافهم.

و فى التوحيد مسنداً عن عبدالأعلى، عن الصادق عليه السلام : « يُسمّى بأسمائه، فهو غير أسمائه، والأسماء غيره، و الموصوف غير الوصف »<sup>١</sup>، الحديث.

١ - نهج البلاغة : صبحى الصالح، الخطبة ١٧٩ ص ٢٥٨ مع اختلاف فى التعبير.

٢ - فى التوحيد (ب ٤٣ ص ٣٠٦ ح ١) هكذا : « هو فى الاشياء على غير ممازجة و خارج منها على غير مباينة ».

٣ - التوحيد : ب ٢ ص ٧٨ ح ٣٤.

٤ - نهج البلاغة : صبحى الصالح، الخطبة ١ ص ٣٩.

٥ - تحف العقول : باب ما روى عن أمير المؤمنين ح ١.

٦ - اثبات الوصيّة : خطبة أمير المؤمنين عليه السلام فى الاوصياء ص ١٠٧.

و قوله : « الموصوف غير الوصف » إشارة الى أن المراد بالغيرية الغيرية التي يستدعيها مفهوم الوصف المحدد مصداقاً؛ لا أن ألقاظ الأسماء غيره سبحانه، و هو ظاهر.

و من هذا الباب ما ورد في الحديث من أن معنى « الله اكبر » : ((الله اكبر من أن يوصف)) رواه الصدوق في المعاني<sup>٢</sup> طريقين.

و منها : ما في الكافي<sup>٣</sup> و التوحيد<sup>٤</sup> عن ابراهيم بن عمر، عن الصادق عليه السلام قال : « إن الله تبارك و تعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوت، و باللفظ غير منطوق، و بالشخص غير مُجسد، و بالتشبيه غير موصوف، و باللون غير مصبوغ، منفي عنه الأقطار، مبعّد عنه الحدود، محجوب عنه حس كل متوهم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً، ليس واحد منها قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أشياء<sup>٥</sup>، لفاقة الخلق إليها، و حجبَ واحداً منها، و هو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي أظهرت؛ فأظهر هو الله تبارك و تعالى، و سخر سبحانه لكل اسم من هذه الأسماء أربعة أركان، فذلك اثنا عشر ركناً، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها، فهو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، الخالق، البارئ، المصور، الحي، القيوم، لا تأخذه سنة و لا نوم، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبار، المتكبر، العلي، العظيم، المقدر، القادر، السلام، المؤمن، المهيمن، البارئ، المنشئ، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرّازق، المحيي، المميت، الباعث، الوارث، فهذه الأسماء و ما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاثمائة و ستين اسماً، فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، و هذه الأسماء الثلاثة أركان؛ و حجب للإسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة؛ و ذلك قوله عز وجل : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى »<sup>٦</sup>.

و هذه الرواية الشريفة في دلالتها على تأخر الأسماء عن مقام اطلاق الذات لاتحتاج الى تقريب، و هي على نفاستها تدل على أصول جمّة من علم الأسماء، و تنزل الاسم من الاسم، و تفرع الخلق عليها.

١ - التوحيد : ب ١١ ص ١٤٣ ح ٧ و فيه : « و الموصوف غير الواصف ».

٢ - معاني الاخبار : ب ١١ ص ١١ ح ١١ او ٢.

٣ - الكافي : كتاب التوحيد باب حدوث الاسم ج ١ ص ١١٢ ح ١.

٤ - التوحيد : باب اسماء الله تعالى ص ١٩٠ ح ٣.

٥ - في المصدرين : « ثلاثة اسماء ».

٦ - الإسراء : ١١٠.



و منها : مافى الارشاد و غيره عن أمير المؤمنين عليه السلام فى كلام له : « إنَّ اللهَ أَجَلُّ من أنْ يحتجبَ عن شىءٍ أو يحتجبَ عنه شىءٌ »<sup>١</sup> .

و ما عن التوحيد مسنداً عن يعقوب بن جعفر الجعفرى، عن موسى بن جعفر عليه السلام فى كلام له : « ليس بينه و بين خلقه حجابٌ غيرَ خلقه، احتجبَ بغير حجابٍ محجوبٍ و استتر بغير سترٍ مستورٍ »<sup>٢</sup> ، الخبر. و قد جمع هذا الخبر بين ظهوره تعالى بالأشياء و استتاره بها بعينها، و هو معنى لطيف، مرجعه الى خفائه من شدة ظهوره.

قد ظهر أنَّ التوحيد الإطلاقى أرفع و أجلّ من أن يوصف بوصف؛ و فى الحديث : « من سأل عن التوحيد فهو جاهل، و من أجابه فهو مشرك »<sup>٣</sup> .

## فصل ٥

### [ تنبيه ]

و هذا المعنى من التوحيد، اعنى الاطلاقى، ممّا انفردت باثباته الملة المقدسة الإسلامية، و فاقت به الملل و الشرائع السالفة . فظاهر ما بلغنا منهم فى التوحيد هو مقام الواحدية، و أنه تعالى الذات الواجبة المستجمعة لصفات الكمال؛ فغاية ما وصل إلينا من معنى التوحيد من الملل السابقة و كلمات الحكماء المتألهين هى ما مرّ فى الفصل الثانى؛ و الله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم.

تمّ والحمد لله و السلام على محمد و آله

### [ ملحق ]

بسمه تعالى

[ ما ندب اليه الإسلام آخر درجة من التوحيد ]

<sup>١</sup> - الارشاد : ج ١ ب ٧١ ص ١٢٠ ح ٢ .

<sup>٢</sup> - التوحيد : ب ٢٨ ص ١٧٩ ح ١٢ .

<sup>٣</sup> - لم نعتز عليه .

مقالة ملحقة بالرسالة، نبين فيها أن ما ندب اليه دين الاسلام المقدس آخر درجة من التوحيد، ونبين فيها ثمرة ذلك في فصول ثلاثة ليعلم أن التوحيد حيث إن له إضافة الى ما وحد فيه، يختلف باختلاف المضاف اليه، والمتصور من ذلك ثلاثة: الذات، والاسم وهو الذات مأخوذاً بوصف، والفعل. فالتوحيد أيضاً ثلاث : توحيد ذاتي، و توحيد أسمائي، و توحيد أفعالي؛ أي أن كل شيء قائم الذات، و قائم الاسم، و قائم الفعل به سبحانه.

## فصل ١

### [ التوحيد الذاتي ]

قد عرفت أن مقتضى البرهان المذكور في الفصل الثالث ارتفاع كلّ تعين مفهومي و تحديد مصداقي عن الذات و أنحاء<sup>١</sup> كلّ تميز هناك حتى هذا الحكم بعينه.

و من هنا يظهر أن استعمال لفظ المقام و المرتبة و نحوهما هناك مجاز من باب ضيق التعبير.

و من هنا يظهر أن التوحيد الذاتي، بمعنى معرفة الذات بما هو ذات، مستحيل . فإن المعرفة نسبة بين المعارف و المعروف . و قد عرفت أن النسب ساقطة هناك، و كلّ ما تعلق من المعرفة به فأنما بالاسم دون الذات، و لا يحيطون به علماً، و إليه يرجع ما ذكروا أن المعرفة على قدر العارف . مثال ذلك الاغتراف من البحر، فإن القدرح مثلاً لا يريد إلا البحر، لكن الذي يأخذه على قدر سعته.

و يظهر أيضاً أنه خارج عن حيطة البيان أيضاً.

من هنا يتبين أن التوحيد الذاتي آخر درجات التوحيد، فإن كمال التوحيد بحسب اطلاق الموحّد فيه و إرساله، و هو هاهنا كلّ تعين حقيقي أو اعتباري، حتى نفس التوحيد. قال سبحانه خطاباً لنبيه : « وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى »<sup>٢</sup>.

## فصل ٢

### [ التوحيد الصفاتي ]

<sup>١</sup> - انحاء (ظ).

<sup>٢</sup> - النجم : ٤٢.

قد عرفت أنّ مقتضى البرهان المذكور فى الفصل الثانى من الرسالة أنّ الله عزّ اسمه ذات مستجمع لجميع صفات الكمال، منفىّ عنه جميع صفات النقص، وأنّ جميع صفاته عين ذاته. وهذا هو الموروث عن الشرائع السابقة المندوب اليه بدعوة المرسلين و الأنبياء الماضين عليهم السلام، و هو الذى يظهر من تعاليم الحكماء المتألهين من حكماء مصر و يونان و الفرس و غيرهم، و هو الذى شرحه الاعاظم من فلاسفة الإسلام، مثل المعلم الثانى أبى نصر و رئيس العقلاء الشيخ أبى على، و عليه صدر المتألهين فى كتبه، و أسس أنّ الوجود حقيقة واحدة مشكّكة ذات مراتب مختلفة فى الشدّة و الضعف، و أنّ أضعفها الهيولى الأولى، و أقواها و أشدها الوجود غير المتناهى قوه و كمالاً" وهو المرتبه الواجبيه، و أنّ جميع المراتب موجودة غير أنّها بالنسبة الى المرتبة الواجبية وجودات رابطة غير مستقلة فى نفسها، لا يحكم عليها و بها مستهلكة تحت لمعان نوره و إشراق بهائه.

و قد ظهر ممّا تقدّم أنّ إثبات أكمل مراتب توحيد الحقّ سبحانه هو الذى اختصّ به شريعة الإسلام المقدّسة، و هذا هو المقام المحمدى الذى اختصّ به محمّد و الطّاهرون من آله صلّى الله عليهم و الأولياء من أمّته على نحو الوراثه.

### فصل ٣

#### [ التوحيد الافعالى و نتيجته الاعتقاد به ]

و الذى ذكرناه من التوحيد الذاتى هو المشهود بالشهود التام الساذج الموجود. فإنّ الإنسان، بحسب أصل فطرته، يدرك بذاته وجوده، و أنّ كلّ تعيّن فهو عن إطلاق و إرسال، إذ شهود المتعيّن لا يخلو عن شهود المطلق.

و يشاهد أيضاً أنّ كلّ تعيّن فى نفسه و غيره فهو قائم الذات بالإطلاق، فمطلق التعيّن قائم الذات بالإطلاق التام.

و يجد أيضاً من نفسه لزوم الخضوع و الكدح من تعيّنه لإطلاقه، و حسن الحسن، و قبح القبيح، و أنّ التكليف محتاج الى البيان.

و هذه المعانى الثلاثة هى التوحيد الذاتى، و الولاية المطلقة، و النبوة العامة. و هذه الشريعة الإسلامية هى القائمة على هذه الأمور بتمامها و كمالها. قال الله : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ »<sup>١</sup>.

و فى التوحيد مسنداً عن العلاء بن الفضيل، عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ : « فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا » قال : التوحيد<sup>٢</sup>.

و فى تفسير على بن ابراهيم مسنداً عن الرضا، عن أبيه، عن جدّه محمد بن على بن الحسين عليهم السلام، فى قوله تعالى : « فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا » قال : هو لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله، علىُّ أمير المؤمنين، الى هاهنا التوحيد<sup>٣</sup>.

و قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ »<sup>٤</sup>.

و قال تعالى : « يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ »<sup>٥</sup>.

و الآثار كثيرة فى أن تشريع الشريعة يحوم حول الأمور الثلاثة.

و قد انتج استعمال الفطرة الساذجة فى هذه الشريعة المقدّسة فى كلِّ من مرتبتى الملكات و الأفعال نتيجة عجيبة، لم يسبقها اليها شىء من الشرائع السالفة.

أمّا فى مرتبة الملكات ، فالملكة علم، و الإنسان الكامل لا يرى إلا الحقَّ سبحانه، و الإنسان المستكمل لا ينبغى أن يتوجّه الى غير الحقَّ سبحانه، فلا يبقى موضوع للأخلاق الرذيلة، كالعجب و الكبر و الرياء و السمعة و الجبن و البخل و حبّ الجاه و الركون الى الدنيا و غير ذلك، فيقع الاخلاق الفاضلة حينئذٍ بالله و الله ، فافهم ذلك.

و لعمرى، كم من الفرق بين أن يزيل الإنسان رذيلة الجبن مثلاً عن نفسه تارة بأن لا يتوجّه الى غير الحقَّ سبحانه، فلا شىء حتى يخاف منه. و تارة بأن يتكل على الله فى دفع المكروه المخوف عنه، كما فى ظاهر الشرائع.

<sup>١</sup> - الروم : ٣٠ .

<sup>٢</sup> - التوحيد : ب ٥٣ ص ٣٢٨ ح ١ .

<sup>٣</sup> - تفسير القمى : فى ذيل آية ٣٠ من سورة الروم .

<sup>٤</sup> - بحار الانوار : ج ١٦ ص ٢١٠ .

<sup>٥</sup> - الاعراف : ١٥٧ .

و تارة بأن يعتقد أنّ وقوع المكروه المخوف عنه أمر ممكن مساوي الطرفين، و الخوف و الجبن بترجيح جانب الوجود ترجيح بلا مرجح، و هو قبيح؛ أو أنّ الجبن رذيلة عند الناس، لا يقع الثناء عليه، كما يقوله الحكيم الأخلاقي. و على ذلك فقس، و مع ذلك فقد استعملت الشريعة المقدّسة في تعليمه جميع الوجوه. و الى نحو هذا المعنى يشير ما في تفسير القمي في حديث المعراج : « فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم : يا ربّ أعطيت أنبياءك فضائل، فاعطني. فقال الله : قد اعطيتك فيما اعطيتك كلمتين من تحت عرشي : لا حولَ و لا قُوَّةَ إلّا بالله، و لا منجى منك إلّا إليك »<sup>١</sup>.

و أمّا في رتبة الأفعال، فقد قصرت الإباحة في ضروريات الحياة، على ما تقتضيه الفطرة؛ ثمّ حاصر ذلك بالتوجيه الى الله عزّوجلّ في صغير الأفعال و كبيرها؛ ثمّ طرد استعمال ذلك في جميع جزئيات أطراف الحياة، من الأمكنة و الأزمنة و الصحّة و المرض و الغنى و الفقر و الموت و الحياة و سائر الحالات و جميع الأفعال؛ فصارت شريعة حافظة للتوحيد على وحدته في هذه الكثرة، و حافظة لهذه الكثرة على كثرتها في التوحيد؛ فاعتنم، فهذه لعمر الله نعمة لا توزن بالسبع الشداد و الأرض ذات المهاد و الجبال الأوتاد.

تمّ و الحمد لله ليلة الأحد خامس ذى الحجة من سنة  
ألف و ثلاثمائة و ست و خمسين قمرية هجرية و تم الاستنساخ  
ليلة الاثنين لاثنين و عشرين خلت من شهر  
محرم الحرام لسنة ١٣٦١

<sup>١</sup> - تفسير القمي : في تفسير قوله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده... ».

## رسالة الأسماء

رسالة في أسماء الله سبحانه و تعالى

و هي الرسالة الثانية من كتاب التوحيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على أوليائه المقربين سيّما محمّد و آله الطاهرين.

قد ذكرنا في رسالة التوحيد أنّ التوحيد منه ذاتي، و منه اسمي ، و منه فعلي.

أمّا التوحيد الذاتي، فقد ذكر هناك أنّه خارج عن حيطة التوصيف و دائرة البيان.

و أمّا الأسماء و الأفعال فإذ لم نستوف البيان فيهما هناك أردنا أن نأتي ها هنا البيان في الاسم ، و نشرحه

بعض الشرح ، بالجمع بين البرهان العقلي و البيان النقلى بما يلائم ذوق هذه الرسائل.

و أمّا التفصيل التام لهذه الأبحاث فموكول الى مطوّلات كتب القوم رضوان الله عليهم ، و نعى بها الكتب

المعمولة على الجمع بين الذوق و البرهان و التشفيح بين العقل و النقل.

و أمّا الكتب التى شأنها أن تضع قضايا ساذجة تحكم بها الأفهام العاميّة و ضعاً ، ثم تدافع بالدفاع الجدلى

عنها بالغاً ما بلغ ، فلا يهمنّا الرجوع اليها ، و لا الركون إليها ، و لا لهذه الأبحاث مساس بها ، و لا لنا شغل

بمن هذا طرز بحثه و طور مطالبه ، و الله المعين.

## فصل ١

[ فى بيان الصفات الذاتيه والفعليه والصفات الثبوتيه والسلبيه ]

قد عرفت فى رسالة التوحيد أنّ الله سبحانه هو الوجود الصرف الذى له كلّ كمال وجودى.

فكلّ ما فرض هناك غيره عاد عينه ، فله وحدة عينية يستحيل معه فرض ثان له ، فلا تعدّد و لا اختلاف و

لا تعيّن هناك ، بمعنى المحدودية بحدّ مفروض ، لا مصداقاً و لا مفهوماً ؛ بل كلّ ما فرض تعيّن ، مفهوماً

أو مصداقاً ، كان متأخراً عن هذه المرحلة المفروضة.

ثمَّ إنَّه لاشتماله على حقائق جميع الكلمات الوجودية متَّصف بجمعها ، فهو مسمَّى بها ، و هي أسماؤه ، إذ ليس الاسم إلَّا الذات مأخوذاً ببعض أوصافه ، فهو في نفسه و بذاته سبحانه متَّصف بها و مسمَّى بها ، و مفاهيمها تنتزع عن ذاته بذاته.

و إذا لو حظت معه الوجودات الفائضة منه المترشحة عنه ، ظهرت بينها و بين أسمائه الذاتية جلّت أسمائه نسب ، هي كالروابط تربطها بها دون الذات ، فإنّه مبرّى عن التعيّنات و النسب كما عرفت. و بالجملة فهناك تظهر تعيّنات و أوصاف أخر ، و تنتزع مفاهيم أخرى تلحق بالقسم الأول ، و ذلك كالخلق و الرزق و الرحمة و الكرم و الطف و الإعادة و البدء و الإحياء و الإملته و البعث و الحشر و النشر و غير ذلك ، و هذه هي أسماء الأفعال المتأخّرة عن الذات و أسمائها ، و تنتزع عن مقام الفعل. بقى هنا شيء ، و هو أنّ هذه الأسماء لو انتزعت عن مقام الفعل فإنّما انتزعت عنه بما أنّ بينه و بين الذات نسبة ما و رابطة ما ، و إلّا لم يصدق هذه الأسماء على الذات البتة ، فيؤول الاتصاف الى اعتبار الحيثيّة ، بمعنى أنّ الذات بحيث لو فرض خلق مثلاً فهو خالقه ، و لو فرض رزق فهو رازقه ، فإنّ سبيل الأسماء الفعلية سبيل الأسماء الذاتية في أنّ الجميع موجودة للذات حقيقة. نعم الأسماء الذاتية لا تحتاج في انتزاعنا إيّاها الى مزيد من الذات بذاته ، و الأسماء الفعلية تحتاج في مرحلة الانتزاع الى فعل متحقّق في الخارج ، فافهم ذلك.

ثمَّ إنَّك تعلم أنّ الكمالات الوجودية حيث كانت موجودة للذات ، و النواقص العدمية مرتفعة عنه ، كانت هناك أوصاف سلبية على سبيل الأوصاف الإيجابية ، إلّا أنّها حيث كانت أعداماً فهي غير متحقّقة هناك ، و إنما هي منتزعة من غيره انتزاعاً ، و مدلولها سلب السلب ، و يرجع الى إثبات الوجود. و قد تبين من جميع ما مرّ أنّ أسماء سبحانه على كثرتها تنقسم أولاً الى أسماء ذاتية و فعلية ، و ثانياً الى أسماء ثبوتية و سلبية ، و هكذا الى أسماء خاصّة و عامّة.

## فصل ٢

[ الكتاب و السنّة يدلان على ما مرّ من تقسيمات ]

و النقل أيضاً يدلّ على ما مرّ ، أمّا ما يدلّ على الأسماء الذاتية و الفعلية و الثبوتية و السبيلة فغير ضرورىّ الإيراد ، لبلوغها من الكتاب و السنّة فى الكثرة فوق حدّ الإحصاء ، على أنّ بعضها سيورد إن شاء الله سبحانه فى طيّّ الفصول الآتية.

### فصل ٣

#### [ مقام الأحدية ]

قد عرفت فى الفصل الأوّل أنّ ذاته المقدّسة ذات صرافة و إطلاق ، مبرّأة من جميع التعيّنات مفهوميّة و مصداقية ، حتّى عن نفس الإطلاق. و حيث كان هذا بعينه تعيّنًا ما يحقّ عنده التعيّنات ، و يطوى بساط جميع الكثرات ، كان هذا أوّل الأسماء و أوّل التعيّنات ، و هو المسمّى بمقام الأحدية. ثمّ تظهر التعيّنات الإثباتية ، و أوّل تلك نفس الإثبات ، و ذلك أنّه هو ، و هو الهوية. ثمّ يظهر بقية التعيّنات. فمن حيث إنّ هذه الحقيقة النائمة حاضرة عند نفسها واجدة لها يظهر تعيّن العلم ، و حيث أنّها المبدأ التام لكلّ كمال وجودى يظهر تعيّن القدرة ، و يظهر من تألّف القدرة مع العلم تعيّن الحياة. ثمّ تظهر بقية التعيّنات من تأليف بسائطها.

فقد تبين أنّ الأسماء بينها ترتّب ما يتفرّع به بعضها على البعض الآخر. ثمّ نقول فى بيان أسمائه سبحانه قد عرفت أنّ الوجود هو الحقيقة الخارجيّة فحسب ، و غيره كالمهيات أمور منتزعة ذهنية ، لا خارجية لها إلّا بعرض الوجود ، و أمّا مع قطع النظر عنها فهى باطلة الذات هالكة العين ، و هذه الحقيقة الخارجية حيث إنّها يطردّ العدم بذاتها يستحيل طريان العدم عليها ، لا امتناع اجتماع التقيضين ، فإذن هى واجبة الوجود بذاتها. و من هنا يظهر أنّ الوجود الحقيقى وحدة و صرافة لا يمكن معه فرض ثانٍ له ، و هو أحديته كما مرّ ، فهو وحده لا شريك له.

و من هنا يظهر امتناع فرض قوّة أو إمكان أو تغيّر أو تحوّل هناك ، إذ هو لصرافته حاوٍ لكلّ كمال وجودى فرض ، فهو صريح الفعلية ، فكما أنّه واجب الوجود بالذات فهو واجب الوجود من جميع الجهات. هذا و من الواجب أن تعلم أنّ هذا البيان إنّما يجرى فى الوجود الواجبى الصرف المستقل بذاته ، دون الوجود الإمكانى ؛ فإنّه لمعلوليته رابط موجود فى غيره ، يستحيل أن يوضع فيحكم عليه بشيء كوجوب الوجود و القيام بنفسه و نحو ذلك.



فما نشاهده من المهية الموجودة أنّما نشاهد الوجود الحقيقي الواجبي بمقدار ما تقوم به هذه المهية، و هو المراد بقولنا ؛ وجود الممكن ظهور ما للواجب فيه ، و أنّ الممكن مظهر للواجب، فهو نور.

و من هنا يظهر أيضاً أنّ كلّ ما فرض ذا مهية متساوية النسبة الى الوجود و العدم فهو في تحقّق ذاته و وجوده يحتاج الى الواجب سبحانه، و آثاره الذاتية - كائنه ما كانت - محتاجة إليه سبحانه أيضاً، و ان كانت بحيث إذا نظر العقل إليها حكم باقتضائه إيّاه، و هو الوساطة، فكما أنّ الأربعة - و هي عدد ما - تحتاج في وجودها اليه سبحانه فكذلك كونها زوجاً و ضعف الاثنين و مجذوراً له و سائر آثاره محتاجة إليه سبحانه، و إن كان كلّها بوساطة الأربعة و اقتضائها؛ فذاته سبحانه بذاته هو المبدأ لكلّ وجود ممكن، و هذا هو القدرة الواجبية؛ إذ القدرة بمعنى صحّة الفعل و الترك - أى إمكان الطرفين - مستحيلة في حقّه سبحانه، لكونه واجب الوجود من جميع الجهات، فهو سبحانه مبدأ بذاته لكلّ موجود بحسب ما يليق بذات ذلك الموجود. فهو مبدأ بالفعل لكلّ موجود بالفعل، و مبدأ بالفعل لكلّ موجود بالقوّة و لنفس القوّة و الإمكان ، فهو المفيض لكلّ شيء و آثاره بفيوضات الوجود و بركات الظهور و البروز.

و من هناك يظهر أيضاً أنّ ذاته موجودة لذاته، و حاضرة لها، لا حجاب بينه و بين ذاته، و جميع الكمالات الموجودة<sup>١</sup> لذاته، فهو في مقام ذاته عالم بذاته و صفاته و بجميع الموجودات المترشّحة عن ذاته، و هو العلم الذاتي.

و أيضاً كلّ موجود حاضر بذاته عنده سبحانه كيف و بعرض وجوده سبحانه وجد و بنوره استشرق، فهو سبحانه كما يشاهدها عزّ ذاته المقدّسة بذاته في مرتبة ذاته يشهدها في مرتبة وجوداتها الخارجية و مواطنها الواقعية ، كلّاً في ظرفه و موطنه ، و هو العلم الفعلى ؛ على أنّ كلّ علم متحقّق عند الموجودات فهو له أيضاً.

و حيث ثبت له سبحانه العلم و القدرة ثبت له الحياة ، اذ المحيى<sup>٢</sup> هو الدراك الفعّال.

و حيث ثبت أنّ إيجاده للموجودات بنحو الظهور في مواطن ذواتها و ظروف هوياتها، ثبت أنّ كلّ كمال و جمال و حسن فهو له سبحانه ثابتة فيه. و الحسن و الجمال تمامية وجود الشيء و كمالاته و آثاره، فهو سبحانه متصفّ بكلّ صفة حسن و جمال.

<sup>١</sup> - موجودة (ظ).

<sup>٢</sup> - الحيّ (ظ).

و حيث كان كل منقصه و رذيلة و محدودية و قبح و سوء منحلًا بالتأمل التام الى عدم كمال مطلوب، و لا سبيل للأعدام الى ساحته المقدسة ، كانت النقائص الإمكانية طرأً و الكدورات الماهوية جميعاً راجعة الى المهيئات الإمكانية و من لوازمها و توابعها ، فهو سبحانه طاهر من كل دنس ، قدوس من كل نقص و خبث ، فهو المستجمع لجميع صفات الجمال و الجلال.

و من هنا يظهر أن الائتلاف و الاجتماع بين صفات الجمال و الجلال هو المقتضى لفيضان الوجود على الموجودات و لمعان النور و انبثاته فى هذه الظلمات ، فلو لا صفات الجلال لم يكن وجود، و لو لا صفات الجمال لم يكن إيجاد ، فافهم.

ثم إن هذه الأسماء الحسنى و الصفات العلياء ، و ان تكثرت مفاهيمها إلا أنه ليس لها إلا مصداق واحد، و هو الذات المقدسة ؛ إذ من المستحيل كما عرفت فرض اثنيّية ما هناك، فكلّ حيثية فى الذات عين الحيثية الأخرى، و الكلّ عين الذات. فهو تعالى موجود من حيث إنه عالم، و عالم من حيث إنه موجود، و قادر بعين حياته ، و حىّ بعين قدرته ، و هكذا. و هذا هو واحديّة الذات ، فهو سبحانه واحد كما أنه أحد.

فتبين من جميع ما مرّ أنه سبحانه بأحدية ذاته يمحق و يطمس جميع الكثرات، ثم ينتزل الى مقام الأسماء على وحدتها ، فينبعث بذلك الكثرات المفهومية دون المصداقية ، ثم ينتزل الى مراتب الموجودات الإمكانية بظهورها فى مظاهرها و إظهارها لمكانها ، فينبعث حينئذ الكثرات المصداقية.

مثل ذلك : إنك إذا رجعت الى صفاتك وجدتك أنك عالم و أنت أنت ، و قادر و أنت أنت ، و سميع و بصير و ذائق و شام و لا مس و أنت أنت ؛ فشىء من صفاتك لا يخلو و لا يخرج منك أنت ، فهذا واحدية صفاتك فى ذاتك. ثم إذا رجعت الى نفسك وجدت أنها أنت ليس هناك الا أنت مع أنك صاحب صفات كثيرة غير أنها قد استهلكت و انمحت فى هذه المرحلة ، و هذا مقام أحدية ذاتك.

ثم إنك إذا زدت على ذلك و تصوّرت مرتبة خيالك المنبسط على صور خيالاتك الجزئية ، ثم جزئيات متخيالاتك ، ثم تنزّلت الى أفعالك و اعتبرت نفسك معها ، علمت أن الجميع قائمة بك لا تخلو عنك ، فلو أمعنت و أتقنت فى تأملك فى هذا المثل صحّ لك تعقل ما تنتجه هذه البراهين التى أسلفناها.

#### فصل ٤

[ الدلائل النقلية فى الكتاب و السنّة ]

و النقل مطابق للعقل فيما مرّ من المعانى ، و لبيان ذلك إجمالاً نضع مباحث :  
المبحث الأول [الاسماء التى فى معنى الوصف ]

[ ألف - فى القرآن ]

إنّ الأسماء التى خصّت بالذكر فى القرآن المجيد ، و هى التى فى معنى الوصف هى :

أ - إله، أحد، أوّل، آخر، أعلى، أكرم، أعلم، أرحم الراحمين، أحكم الحاكمين، أحسن الخالقين، أهل التقوى  
أهل المغفرة.

ب - بارىء، باطن، بديع، برّ، بصير، بديع.

ت - توّاب.

ج - جبّار، جامع.

ح - حكيم، حلیم، حىّ، حقّ، حميد، حسيب، حفيظ، حفىّ.

خ - خبير، خالق، خلّاق، خير الماكرين، خير الرازقين، خير الفاصلين، خير الحاكمين، خير الفاتحين،  
خير الغافرين، خير الوارثين، خير الراحمين.

ذ - ذو العرش، ذو الطول، ذو انتقام، ذو الفضل العظيم، ذو الرحمة، ذو القوّة، ذو الجلال و الإكرام.

ر - رحمن، رحيم، رؤوف، ربّ، رفيع الدرجات، رزّاق، رقيب.

س - سميع، سلام، سريع الحساب، سريع العقاب.

ش - شهيد، شاکر، شكور، شديد العقاب ، شديد المحال.

ص - صمد.

ظ - ظاهر.

ع - عليم، عزيز، عفوّ، علىّ، عظيم، علّام الغيوب، عالم الغيب و الشهادة .

غ - غنىّ، غفور، غالب، غافر الذنب، غفّار.

ف - فائق الإصباح، فائق الحبّ و النوى، فاطر، فتّاح.

ق - قوىّ، قدّوس، قيّوم، قاهر، قهّار، قريب، قادر، قدير، قابل التوب.

ك - كريم، كبير.

ل - لطيف.

م - ملك، مؤمن، مهيمن، متكبر، مصور، مجيد، مجيب، مبين، مولى، محيط، مقيت، متعال، محيي، متين، مقتدر، مستعان.

ن - نصير، نور.

و - وهاب، واحد، ولي، واسع، وكيل، ودود.

هذه هي الأسماء الواردة في الكتاب الإلهي بلسان التوصيف، وهي مائة و سبعة عشر اسماً ؛ و هنا موارد آخر بلسان قريب من لسانها :

قال تعالى : « وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »<sup>١</sup> .

و قال تعالى : « إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ »<sup>٢</sup> .

و قال تعالى : « فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ »<sup>٣</sup> .

و قال تعالى : « قَائِمًا بِالْقِسْطِ »<sup>٤</sup> .

و قال تعالى : « إِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ »<sup>٥</sup> .

و قال تعالى : « وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ »<sup>٦</sup> .

و قال تعالى : « إِنَّا مُنْتَقِمُونَ »<sup>٧</sup> .

و قال تعالى : « لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ »<sup>٨</sup> .

و قال تعالى : « وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ »<sup>٩</sup> .

و قال تعالى : « هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ »<sup>١٠</sup> .

و قال تعالى : « فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ »<sup>١١</sup> .

<sup>١</sup> - الحجر : ٩ .

<sup>٢</sup> - الانبياء : ١٠٤ .

<sup>٣</sup> - هود : ١٠٧ .

<sup>٤</sup> - آل عمران : ١٨ .

<sup>٥</sup> - الانبياء : ٩٤ .

<sup>٦</sup> - الحجر : ٢٣ .

<sup>٧</sup> - الدخان : ١٦ .

<sup>٨</sup> - الانعام : ٥١ .

<sup>٩</sup> - الرعد : ١١ .

<sup>١٠</sup> - المؤمنون : ٨٠ .

<sup>١١</sup> - الانعام : ١٧ .

فربما يستخرج الحافظ، و الفاعل، و فعّال ما يريد، و القائم بالقسط، و الكاتب، و الوارث، و المنتقم، و الشفيح، و الوالى، و المميت، و كاشف الضرّ، من هذه الآيات. و أمّا ما ورد بلسان الفعل فكثير.

### [ ب - فى الروايات ]

و أما الاحاديث، ففى التوحيد<sup>١</sup> و الخصال<sup>٢</sup> مسنداً عن سليمان بن مهران، عن جعفر بن محمد، عن آباءه، آباءه، عن على عليه السلام « قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : إنَّ الله تسعة و تسعين اسماً، مائة إلّا و احداً، من أحصاها دخل الجنّة ؛ و هى : الله، الإله، الواحد، الأحد، الصّمد، الأوّل، الآخر، السميع، البصير، القدير، القاهر، العلىّ، الأعلى، الباقي، البديع، البارىء، الأكرم، الظاهر، الباطن، الحىّ، الحكيم، العليم، الحلیم، الحفيظ، الحقّ، الحسيب، الحميد، الحفىّ، الرّبّ، الرّحمن، الرّحيم، الذّارىء، الرّازق، الرّقيب، الرّؤوف، الرّائى، السّلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبرّ، السيّد، السّبوح، الشهيد، الصادق، الصّانع، الطّاهر، العدل، العفوّ، الغفور، الغنىّ، الغياث، الفاطر، الفرد، الفتّاح، الفالق، القديم، الملك، القدّوس، القوىّ، القريب، القيّوم، القابض، الباسط، قاضى الحاجات، المجيد، المولى، المنان، المحيط، المبين، المقيت، المصورّ، الكريم، الكبير، الكافى، كاشف الضرّ، الوتر، النور، الوهّاب، الناصر، الواسع، الودود، الهادى، الوفى، الوكيل، الوارث، البرّ، الباعث، التوّاب، الجليل، الجواد، الخبير، الخالق، خير الناصرين، الدّيان، الشكور، العظيم، اللطيف، الشافى » ، الخبر.

قال الصدوق فى الخصال : و قد رويت هذا الخبر من طرق مختلفة و ألفاظ مختلفة.

و فى التوحيد مسنداً عن الهروى، عن الرضا عليه السلام، عن آباءه، عن على عليه السلام « قال : قال رسول الله : إنَّ الله تسعة و تسعين اسماً، مَنْ دعا الله بها استجاب له، و مَنْ أحصاها دخل الجنّة »<sup>٣</sup>.  
و فى التوحيد أيضاً مسنداً عن أبى هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال : إنَّ الله تبارك و تعالى تسعة و تسعين اسماً، مائة إلّا واحداً، إنّه وتر يحبّ الوتر، مَنْ أحصاها دخل الجنّة. فَبَلَّغْنَا أَنْ غَيْر واحد من أهل العلم قال : إنَّ أولها يفتتح بلا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك، و له الحمد، بيده الخير، و هو على كلّ شىء قدير، لا إله إلّا الله له الأسماء الحسنى، الله، الواحد، الصّمد، الأوّل، الآخر،

<sup>١</sup> - التوحيد : ب ٢٩ ص ١٩٤ ح ٨.

<sup>٢</sup> - الخصال : ج ٢ ب ٨٠ ص ٥٩٣ ح ٤.

<sup>٣</sup> - التوحيد : ب ٢٩ ص ١٩٥ ح ٩.

الظاهر، الباطن، الخالق، البارئ، المصور، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الرحمن، الرحيم، اللطيف، الخبير، السميع، البصير، العليّ، العظيم، البارّ، المتعالى، الجليل، الجميل، الحىّ، القيوم، القادر، القاهر، الحكيم، القريب، المجيب، الغنى، الوهاب، الودود، الشكور، الماجد، الأحد، الوليّ، الرشيد، الغفور، الكريم، الحليم، التواب، الربّ، المجيد، الحميد، الوفىّ، الشهيد، المبين، البرهان، الرؤوف، المبدىء، المعيد، الباعث، الوارث، القوىّ، الشديد، الضارّ، النافع، الوافى، الحافظ، الرافع، القابض، الباسط، المعزّ، المذلّ، الرّازق، ذوالقوة المتين، القائم، الوكيل، العادل، الجامع، المعطى، المجتبى، المحبى، المميت، الكافى، الهادى، الأبد، الصادق، النور، القديم، الحقّ، الفرد، الوتر، الواسع، المُحصى، المقتر، المقدمّ، المؤخّر، المنتقم، البديع»<sup>١</sup>، الحديث.

أقول : و الروايتان المُحصيتان لأسمائه تعالى، على أنّهما اشتملتا على بعض الأسماء الغير الواردة فى القرآن، مثل السيد، و الصانع، و الجميل، و القديم، و غيرها. و على أنّهما أهملتا بعض الأسماء الواردة فى القرآن، مثل ذى الجلال و الإكرام، و ذو الطول، و رفيع ؛ بينهما اختلاف فى الأسماء المحصاة. هذا أولاً. و ثانياً : لفظ الجلالة أحد الأسماء فى الثانية، و غيرها فى الأولى، و هو فيها تمام المائة. و ثالثاً : ظهر الرواية الثانية أنّ إحصاء الأسماء خارج عن الرواية. و لا يبعد أن يستظهر من الرواية الأولى أيضاً كونها خارجة عن الرواية، حيث قال فيها : « و هى الله، الإله... الى آخره » و عدّ مائة اسم. و أمّا قوله صلى الله عليه و آله و سلم : « إنّ الله تسعة و تسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة »، فقد استفاض به الروايات، و رواه الخاصة و العامة، لكنّه فى غير مقام الحصر على ما سيظهر، و لهذا خصّصنا الكلام بما ورد فى القرآن الكريم، على أنّ غيرها ينشرح معانيها و بيان مبانيها.

### المبحث الثانى [ الميزان الكلى فى تفسير الأسماء سبحانه و صفاته ]

إنّ المعانى التى قد أُستعملت فيها هذه الأسماء الشريفة فى القرآن الكريم، و بقيّة الاستعمالات تتبعها لا محالة، لا شكّ فى أنّها تطابق المصاديق التى لها فى نفس الأمر ؛ و لا شكّ أنّ للحقّ سبحانه كمالات و صفات موجودة حقيقة كشف عنها أو عن بعضها بهذه البيانات القرآنية التى تشتمل على هذه الأسماء بطريق الأفراد تارة، و عن أعيان هذه المعانى بجمل و تركيبات كلامية تارة أخرى ؛ كلّ ذلك فى مقام الثناء و الحمد و إبداء الكمال. فحمل ذلك كلّهُ على نفى النواقص - على أنّه يوجب رجوع كلّ كمال ذاتى

<sup>١</sup> - التوحيد : ب ٢٩ ص ٢١٩ ح ١١.

الى عدم و خلوّ الذات عن كمال موجود، مع تراكم البراهين عليه أولاً، و على أنّه مع الغضّ عن الكمال الوجودى لا يوجب كمالاً و مزياً، كما أنّ المعدوم المطلق أيضاً كذلك ثانياً - بعيد عن الانصاف و اعتراف يكذبه الوجدان هذا، فالأسماء جلّها تشتمل على معانٍ ثبوتية غير سلبية.

ثمّ إنّ هذه المعانى ليست من غير جنس المعانى التى نفهمها و نعقلها، كما ذكره بعضهم و التزم أنّ هذه الأسماء كلّها إمّا مجازات مفردة و إمّا استعارات تمثيلية بيانية، إذ الذى نفهمه من قولنا: « علم زيد » و قولنا: « علم الله » معنى واحد، و هوانكشاف مل للمعلوم عند العالم غير أنا نعلم أنّ علم زيد انما هو بالصورة الذهنية التى عنده، و أنّ الله سبحانه يستحيل فى حقّه ذلك، إذ لا ذهن هناك، و هذا ليس إلّا خصوصية فى المصداق، و هى لا توجب تغييراً فى ناحية المعنى بالضرورة.

فإذن المفهوم مفهوم واحد، و أمّا خصوصيات المصاديق فغير دخيلة فى المفهوم البتة ؛ و هذا هو الحقّ الذى عليه أهل الحقّ.

فإذن الميزان الكلىّ فى تفسير أسمائه سبحانه و صفاته تخلية مفاهيمها عن الخصوصيات المصدقية، و عبارة أخرى عن الجهات العدمية و النقص.

و هذا هو الذى يظهر من تفاسير الأئمة عليهم السلام فى خطبهم و بياناتهم. فعن التوحيد<sup>١</sup> و نهج البلاغة<sup>٢</sup> فى خطبة له عليه السلام: « إنّ ربّي... لطيف اللطافة، فلا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، قبل كلّ شيء لا يقال شيء قبله، و بعد كلّ شيء فلا يقال شيء بعده، شائى الأشياء لا بهمة، درّاك لا بخديعة، هو فى الأشياء كلّها غير متمازج بها و لا بائن عنها، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجلّ لا باستهلال رؤية، بائن لا بمسافة، قريب لا بمدانة، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بحركة، مرید لا بهمامة، سميع لا بآلة... »، الخطبة. و بياناتهم عليهم السلام مشحونة بهذا النوع من التفسير، و فى كثير من الأخبار النهى عن التعطيل و التشبيه.

### المبحث الثالث [ النسبه بين صفات الله عزوجل و صفات غيره ]

<sup>١</sup> - التوحيد: ب ٤٣ ص ٣٠٦ ح ١، الكافى: باب جوامع التوحيد ج ١ ص ١٣٨ ح ٤.

<sup>٢</sup> - نهج السعادة فى متدرك البلاغة: ١٤٢ و من كلام له عليه السلام فى بيان عظمة الله . و تنزيهه عن النقائص ج ١ ص ٤٧٤.

قد عرفت أنّ صفاته سبحانه هو البحث من كلّ كمال وجودي بنحو الحقيقة ؛ وأمّا صفات غيره فحيث إنّ ذاته موجودة بعرض وجوده، فكذلك صفاته. فكلّ صفة وجودية حقيقة خالية من النقص فهي له سبحانه بنحو الانحصار، وكلّ صفة في غيره فهي عرضية.

و يظهر ذلك من معظم موارد هذه الأسماء في القرآن كقوله تعالى : « وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ »<sup>١</sup> .

و قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ »<sup>٢</sup> .

و قوله تعالى : « وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »<sup>٣</sup> .

و قوله تعالى : « هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ »<sup>٤</sup> .

و قوله تعالى : « وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ »<sup>٥</sup> .

و قوله تعالى : « وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ »<sup>٦</sup> .

و قوله تعالى : « وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ »<sup>٧</sup> الى غير ذلك من الآيات.

فكلّ ذلك للحصر دون التأكيد، كما يزعمه الزاعمون. و قد بلغ الأمر في بعضها الى التصريح :

قال تعالى : « لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ »<sup>٨</sup> .

و قال تعالى : « أَيُّنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً »<sup>٩</sup> .

و قال تعالى : « وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً »<sup>١٠</sup> .

و قال تعالى : « مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ »<sup>١١</sup> الى غير ذلك.

ثم بيّن سبحانه تبعية هذه الأسماء، أعنى الكمالات الوجودية الحقيقية، في غيره ؛ فقال تعالى : « قُلِ اللَّهُمَّ

مَالِكِ

<sup>١</sup> - الانعام : ١٨ .

<sup>٢</sup> - الذاريات : ٥٨ .

<sup>٣</sup> - الشورى : ١١ .

<sup>٤</sup> - الحشر : ٣٢ .

<sup>٥</sup> - الروم : ٥٤ .

<sup>٦</sup> - الانعام : ١٨ .

<sup>٧</sup> - البقرة : ٢٥٥ .

<sup>٨</sup> - البقرة : ٢٥٥ .

<sup>٩</sup> - النساء : ١٣٩ .

<sup>١٠</sup> - البقرة : ١٦٥ .

<sup>١١</sup> - البقرة : ١٠٧ .



الْمُلْكِ «<sup>١</sup>، الآيات.

وقال تعالى : « وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى \* وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا \* وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى \* مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى \* وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى \* وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى »<sup>٢</sup>، الآيات.

وقال تعالى : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ »<sup>٣</sup>، الآية.

و الدليل على أنه يثبت في هذه الآيات حقائق هذه المعاني بالحرص على نفسه و بالتبع الى غيره أنه تعالى يثبت مع ذلك هذه المعاني لغيره في آيات أخر كقوله : « وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ »<sup>٤</sup> و قوله : « وَاخْتَارَ مُوسَى »<sup>٥</sup> الى غير ذلك.

و أصرح من ذلك كله ما بينه سبحانه في آيات الحشر إذ قال سبحانه : « وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ »<sup>٦</sup> فبيّن أن الأسباب متقطّعه مزيلة يومئذٍ و مع تقطع الأسباب و بطلان الروابط لا يبقى موضوع لكمال و جودى مستفاد من غيره، كما هو المظنون اليوم، فلا يبقى إلا الله وحده، و لا نسبة لأحد إلا معه، و بطلت بقية النسب ؛ فأبطل حقيقية كمالاتهم و أثبت تبعيتها، فقال تعالى : « يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ »<sup>٧</sup> و قال تعالى : « وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ »<sup>٨</sup>.

وقال تعالى : « وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ »<sup>٩</sup>.

وقال تعالى : « ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ »<sup>١٠</sup>.

وقال تعالى : « يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدْبْرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِمٍ »<sup>١١</sup>.

<sup>١</sup> - آل عمران : ٢٦ .

<sup>٢</sup> - النجم : ٤٣-٤٨ .

<sup>٣</sup> - القصص : ٦٨ .

<sup>٤</sup> - المائدة : ١١٠ .

<sup>٥</sup> - الاعراف : ١٥٥ .

<sup>٦</sup> - البقرة : ١٦٦ .

<sup>٧</sup> - غافر : ١٦ .

<sup>٨</sup> - الانفطار : ١٩ .

<sup>٩</sup> - البقرة : ١٦٥ و ١٦٦ .

<sup>١٠</sup> - غافر : ٧٣ و ٧٤ .

<sup>١١</sup> - غافر : ٣٣ .

و قال تعالى : « هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ »<sup>١</sup>.

و قال تعالى : « مَا أَغْنَى عَنِّي مَا لِيهِ \* هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ »<sup>٢</sup>.

و قال تعالى : « ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَ شُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَ قَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانا تَعْبُدُونَ »<sup>٣</sup>.

فكل ذلك بيان لكون كمالات الأسماء فيه سبحانه بالاستقلال، و في غيره بالتبع.

نعم، ربّما قارن سبحانه بين وصف نفسه و وصف خلقه ممّا أفاضه عليهم، فسبكهما وصفاً واحداً، و لا محالة يُراد حينئذٍ من الوصف المعنى الأعمّ الشامل لما بالاستقلال و ما بالتبع، و ذلك بصيغة التفضيل في أربعة عشر اسماً في القرآن، و هي : أعلى ، و أكرم، و أعلم، و أرحم الراحمين، و أحكم الحاكمين ، و أحسن الخالقين، و خير الماكرين، و خير الرازقين، و خير الفاصلين، و خير الحاكمين، و خير الفاتحين، و خير الغافرين، و خير الوارثين، و خير الراحمين.

لكنه سبحانه أثبت بها مزية لنفسه و أفضلية، فإنّه سبحانه يزيد على خلقه في أنّ هذه الأوصاف بعد كونها مشتركة فيها، له سبحانه بنحو الاستقلال و لغيره بالتبع ؛ فهو سبحانه أحقّ بالعلوّ و العلم و الكرامة، و أشدّ في رحمته، و أصدق في حكمه، و أحسن في خلقه، و خير مكرماً، و غير ذلك بخلاف غيره فإنّ هذه الأوصاف فيهم عارضة، متزلزلة البنيان ، مشوبة بنواقص الأعدام، مكدرّة بكدورات الإمكان.

هذا و يمكن أن يستشتمّ هذا المعنى، و هو تلميح الاشتراك، ممّا وقع من الأسماء بصيغة المبالغة في عشرة أسماء و هي : التوّاب، الجبّار، الخلاق، الرزّاق، علّام الغيوب، الغفار، القدّوس، القيّوم، القهار، الوهاب ؛ و قد يعدّ منها مثل : الشكور، و الغفور، و القدير، و المتعالى، و الرحمن، و ذلك بالإشارة الى شدة هذه الأوصاف فيه سبحانه و شمولها بكثرة مواردها لجميع الموجودات.

هذا و أمّا بقية الأسماء، و هي ثمان و ثمانون اسماً، فهي واردة بنحو الأفراد أو الإضافة، غير أنّ ثمانية عشر منها بنحو الإضافة، و قريب من سبعين منها بنحو الأفراد. و هناك معانٍ وصفية مبنية بجمل كلامية، كقوله :

<sup>١</sup> - يونس : ٣٠.

<sup>٢</sup> - الحاقة : ٢٨ و ٢٩.

<sup>٣</sup> - يونس : ٢٨.

« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ »<sup>١</sup> و قوله : « لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُؤَلَدْ \* وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ »<sup>٢</sup> و قوله تعالى : « ولم تكن له صاحبةً »<sup>٣</sup> ، الآيات.

#### المبحث الرابع [ فى ترتب و تفرع الاسماء الالهيه بعضها على بعض ]

و جلّ هذه الأسماء مشتتة على معانٍ ثبوتية، غير أنّ بينها ترتباً، كما مرّ إجمالاً ؛ فهو تعالى من حيث إنّ ذاته المقدّسة غير متألّفة من أجزاء عقلية و لا وهمية و لا خارجية ، فهو بسيط الذات، أحد ؛ و هذه اللفظة لا تستعمل فى الإثبات من غير إضافة إلّا فيه سبحانه. قال تعالى : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » و لا يقال : « جاءنى أحد » البتة، و يقال: « ما رأيت أحداً »، فينتفى حينئذٍ الواحد و الاثنان و الجماعة بخلاف ما رايت واحداً فإنه لا ينتفى حينئذٍ الا الواحد دون الاثنين و الجماعة. فيظهر أنّ الأحد فى اللغة وحدة لا تأبى عن الاجتماع مع الكثرة، بخلاف الواحد ؛ فهما كالالبشرط و بشرط لا. فالأحد وحدة صرفة لا يقع فى قبالتها كثرة، لا اثنان و لا جمع ؛ فهو بسيط الذات. و لذلك لم يصح استعماله فى الإثبات إلّا فيه سبحانه، لصرافة وجوده و بساطته و تركّب وجود غيره. فغيره تعالى إذا أخذ واحداً لم يكن كثره ذاته منظورا فيه و إذا أخذ جزء الكثرة انمحت وحدته و أمّا هو تعالى فلا يتصور فى ذاته البتة.

هذا و من هنا يصح استعمال أحد فى الإثبات اذا اضيف نحو هو اخذ القوم فافهم.

وهو سبحانه من حيث إنّهُ ليس له شريك و لا صاحبة و لا ولد، و من حيث إنّ جميع أسمائه شىء واحد، هو الذات و ان تعدّدت مفاهيمها، فهو واحد.

و من حيث إنّ ذاته ثابتة بذاته و فى ذاته و على جميع التقادير حقّ.

و هو تعالى من حيث حضور ذاته لذاته و انكشافه له و حضور الموجودات عنده، عالم و عليم.

و العليم من حيث كونه موجوداً عند جميع جهات ذات المعلوم، محيط.

و من حيث كونه حاضراً هناك، شهيد.

و إذا نسبته الى الغيب، علّام الغيوب.

و إذا انتسب الى جميع الغيب و الشهادة، فهو عالم الغيب و الشهادة.

<sup>١</sup> - الشورى : ١١ .

<sup>٢</sup> - الخلاص : ٣ و ٤ .

<sup>٣</sup> - الانعام : ١٠١ .

و إذا لوحظت نسبته الى المبصرات، فهو بصير ؛ أو الى المسموعات، فهو سميع.

و من حيث تحفظه على المشهودات، حفيظ.

و العليم من حيث إحصائه المعلومات، حسيب.

و من حيث تعلّقه بالدقائق، خبير.

و من حيث اتقانه معلوماته، حكيم.

و هو تعالى من حيث مبدئيه غيره و هى كون وجود ذاته عين الوجود و صرفه يبتدىء منه و ينتهى اليه  
كلما فرض غيره قادر و قدير.

و القادر من حيث إن إفاضته الوجود من غير اقتضاء من الغير و إيجاب ، رحمن.

و هو من حيث إنه مفيض لذات الغير، بارىء.

و من حيث إنه جامع بإفاضته لخلق ذاته و أجزاءها، خالق.

و من رحمته الخاصّة و هو السعادة، رحيم.

و الرحيم من حيث إفاضته لكلّ دقيق، لطيف.

و من حيث إنه رحيم و لطيف ، رؤوف.

و من حيث يحبّ ما تعلق به رحمته، ودود.

و من حيث عدم توقّعه فى إيصال الرحمة الجزاء، كريم.

و الكريم من حيث يجازى بالجميل من يثنى عليه، شاکر و شكور.

و من حيث لا يجازى من أساء عليه بتعجيل العقوبة، حلیم.

و من حيث ستره موانع الإفاضة، عفوّ و غفور، كلّ باعتبار.

و من حيث قبوله و عدم ردّه من به ذلك و قد آب إليه، توّاب و قابل التوب.

و من حيث إجابته لما يسأله الغير، مجيب.

و القادر الخالق من حيث إن ما لمقدوره الممكن فله و هو معه، محيط ؛ و المحيط من حيث قربه، قريب.

و من حيث إنه محيط لا يخلو منه شيء، أوّل يبتدىء منه الشيء، و آخر ينتهى اليه الشيء، و ظاهر يظهر  
به الشيء، و باطن يقوم به الشيء.

و القادر الخالق المحيط من حيث إنه يمحو ما يتصور من المقاومة، و يستهلك المحاط المقدور عليه، و لا تبطل قدرته فيما تتعلّق به، و لا تزلزل قدرته و إحاطته، غالب، قاهر، قوى، متين، كلّ باعتبار. و ما هذا صفته إذا نسب إليه المقدور بحقارته، فهو عظيم، كبير؛ أو نسب إليه بدنائته، فهو على، أعلى، متعال.

و إذا توهم من المقدور مقاومة و منه إعمال مقدرة و إحاطة، فهو مقتدر.

و إذا زيد على ذلك المجازاة، فهو ذو انتقام.

و من هذا كلّه و صفه، فهو مجيد.

و إذا انعكس و صفه الكذائي لذاته، فهو متكبر.

و إذا لو حظ القادر الخالق الرحمن من حيث إنه يوصل كلّاً الى كماله برحمته، فهو ربّ.

و الربّ من حيث إنه يفطر الوجود من العدم، فاطر.

و من حيث إنّ أمره أعجب الأمور، بديع.

ثمّ فالق الحبّ و النوى، و فالق الإصباح، أى الصبح إذا طلع، و هو اسم جزئى.

و من حيث إنه يفيض الأمن عن وحشة ظلمات العدم و كلّ نقیصة و محذور، مؤمن.

و من حيث إنه يفيض ما لا يسوء، سلام.

و من حيث إنّ ما يفيضه عطية من غير غرض، فهو وهّاب.

و من حيث إنه يفيض ما يدوم به بقاء الموجودات بعد إحداثها، فهو رزاق.

و من حيث إنّ عطائه لا يوجب نقصاً فيه، فهو واسع.

و من حيث إنه هو المؤجل لعطيائه، فهو مقیت.

و من حيث إنّ أعظم الثناء عليه هو ما يفيضه من رحمته، فهو حميد.

و من حيث إنه يجبر كلّ كسير، و يتم كلّ منقصة فى خلقه، فهو جبار.

و من حيث إنه يقوى كلّ مغلوب، فهو نصير.

و من حيث إنه يلى أمر مخلوقه الذى لا يقدر و لا يملك لنفسه نفعاً و لا ضرراً و لا موتاً و لاحياء نشوراً،

فهو ولىّ و مولى و وكيل، كلّ من وجه.

و من حيث إنه يفيض الحياة، فهو محيى.

و من حيث إنه يفيض الصور، فهو مصوّر.  
و من حيث إن ذلك كله منه إحسان، فهو برّ.  
و من حيث إن الربّ به يظهر كل ما فى الوجود، فهو نور؛ ثم هو مبين.  
و من حيث إن له كل شىء و هو يدبّره، فهو ملك ذو العرش.  
و من حيث إن عنده ما عند كل شىء من غير عكس، فهو عزيز.  
و من حيث إنه لا يحتاج الى شىء و لا الى ما عند شىء، فهو غنى.  
و من حيث إن الربّ ملك ذو العرش ليس غيره، فهو أحكم الحاكمين، خير الفاضلين و الحاكمين و الفاتحين.

و من حيث إن الربّ يصمد و يرجع اليه المربوبون فى حوائجهم، فهو صمد.  
و الصمد من حيث يطلب منه الراجعون عونه و إعانتهم، فهو مستعان. و الربّ من حيث يعبد بالتوجه اليه، إله.

ثم إن ما مرّ من الأسماء، غير ثلاثة منها و هو الواحد الأحد الحق، واقعة تحت الاسمين: القادر العليم؛ و هما إذا نسبا معاً الى الغير كانت القيومية، فهما تحت الاسم القيوم، و هو تعالى بما أنه عليم قدير فى ذاته فهو حى؛ فسيطرة الاسمين

– الحى القيوم – واقعة على جميع الأسماء الثبوتية غير الوحدة، قال تعالى: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ»<sup>١</sup>  
، الآية. فبالتوحيد فى الآية يتمّ شمولها لجميع الأسماء الثبوتية.  
و أمّا السلوب و انتفاء النواقص و الأعدام فيجمعها الاسم القدّوس.  
و يجمع الكلّ، أعنى الأسماء الثبوتية و السلبية و الجلال و الجمال و الذاتية و الفعلية جميعاً، الاسم ذو الجلال و الإكرام «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»<sup>٢</sup>.  
فهذا نوع تفرّع الأسماء بعضها على بعض، و الترتبّ و التنزّل الذى بينها؛ و ربما أمكنك بالتدبّر و التأمل أن تجد بينها مناسبات معنوية أخرى غير ما ذكرناه، توجب تفرّعات أخرى؛ و هاك فيما مرّ شجرة<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> – البقرة: ٢٥٥.

<sup>٢</sup> – الرحمن: ٧٨.

<sup>٣</sup> – راجع صفحة ٦٢.

و أجمع خبر لجميع معانى المباحث السابقة ما فى الكافى مسنداً عن ابراهيم بن عمر، عن الصادق عليه السلام : « إن الله تبارك و تعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوّت، و باللفظ غير مُنطَق ، و بالشَّخص غير متجسّد، و بالتشبيه غير موصوف، و باللون غير مصبوغ، منفىُّ عنه الأقطار، مبعّد عنه الحدود، محجوب عنه حس كلِّ متوهّم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً، ليس واحد منها قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء، لفاقة الخلق إليها، و حجب واحداً منها، و هو الاسم المكنون المخزون فهذه الأسماء الثلاثة التى أظهرت، فالظاهر هو الله و تبارك و سبحان. و سخر سبحانه لكلِّ اسم من هذه أربعة اركان<sup>١</sup> ، فذلك اثنا عشر ركناً ؛ ثمّ خلق لكلِّ ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها، فهو الرّحمن، الرّحيم، المَلِك، القدّوس، الخالق، البارىء، المصورّ، الحىّ، القيّوم، لا تأخذه سنة و لا نوم، العليم، الخبير، السميع، البصير، العزيز، الجبّار، المتكبرّ، العلىّ، العظيم، المقتدر، القادر، السّلام، المؤمن، المهيمن، [ البارىء ]، المنشىء، البديع، الرّفيع، الجليل، الكريم، الرّازق، المحيى، المميت، الباعث، الوارث ؛ فهذه الأسماء و ما كان من الأسماء الحسنى، حتى تتم ثلاثمائة و ستين اسماً، فهى نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، و هذه الأسماء الثلاثة اركان و حجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة، و ذلك قوله عزّوجلّ : « قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى »<sup>٢</sup> ، الحديث.

و هو من غرر الأحاديث، يشتمل على و جازته :

على كيفية حقيقة الأسماء و قيام حقائق بعضها ببعض بالظهور و البطون.

و على كيفية تكثّرها و تكثّر الأسماء الخاصّة بنسب الأسماء العامّة ؛

و على كيفية فاقة الخلق إليها، و هو احتياجهم فى ذواتهم إليهم، و قيام وجودهم بها.

و على أنّ هذا الترتبّ و التنزّل أمر حقيقى، ليس بالاعتبار اللغوى الأدبى فحسب.

و قوله عليه السلام : « انّ الله خلق اسماً.. الى آخره »، يريد به التعيّن و التنزّل الأوّل عن الإطلاق الذاتى الذى ينمحي هناك كل اسم و رسم و عين و أثر، و هو المورد الوحيد الذى وجدنا فيه اطلاق لفظ الخلق فى مرحلة الأسماء، و المراد به ما عرفت، و يشهد به أنه عليه السلام عدّ اسم الخالق فى ذيل الحديث من جملة الأسماء الفرعية.

<sup>١</sup> - فى المصدر : « و سخر سبحانه لكلِّ اسم من هذه الاسماء اربعة اركان ».

<sup>٢</sup> - الكافى : كتاب التوحيد باب حدوث الأسماء ج ١ ص ١١٢ ح ١ .

و يظهر منه أنّ المراد بالاسم الواحد المكنون المخزون هو مقام الأحدية، إذ هو المحجوب بهذه الأسماء الثلاثة التي هي الله و تبارك و سبحان، و هي الهوية و الجمال و الجلال، إذ الخلق محتاجون في تحقّق أعيانهم و صفاتهم و أفعالهم الى هذه الجهات الثلاثة : من الهوية و صفات الثبوت و صفات السلب. و أمّا إذا لوحظ الخلق بالنسبة الى مقام الأحدية ففيه ارتفاع موضوعهم من الأعيان و آثارها، كما لا يخفى. و قد عبّر عليه السلام في مبتدأ كلامه عنه سبحانه بهذه الأسماء الثلاثة أيضاً فقال : « ان الله تبارك و تعالى.. الى آخره »، ثمّ فسّر عليه السلام قوله تعالى : « قُلِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى »<sup>١</sup> بما ذكره من احتجاب الاسم الواحد بالأسماء الثلاثة و تفرّع باقى الأسماء على الثلاثة الحجب ؛ و هو ظاهر في أنّ الضمير في قوله تعالى : « فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى » راجع الى هذا الاسم المكنون المخزون، اى راجع اليه سبحانه من حيث إنّهُ متعيّن بهذا التعيّن الأحدى، إذ الدّعاء توجّه ما، و هو لا يكون إلّا الى متعيّن متبيّن ؛ و اذ بيّن سبحانه أنّ جميع الأسماء الحسنى له و بأىّ دعى دعى، فالدعاء بجميع الأسماء التى لها تعيّن ما، و المدعو هو الذات من حيث تسميته بها - أى هذه الأسماء - و هي قائمة بالذات، و الذات لا نسبة له مع شيء إلّا مع تعيّن ما، و قد فرض جميع التعيّنات في ناحية الدعاء، فلم يبق إلّا تعيّن هو عين الاطلاق، و هو مقام الأحدية، اليه ينتهى السائرون بعد طىّ مراحل الأسماء ، و عنده تحلّ الرحال، فافهم. الى ذلك يشير ما في بعض الأدعية، قال عليه السلام : « باسمك المكنون المخزون الحىّ القيوم »<sup>٢</sup> الدعاء

و أنت بعد التدبّر فيما مرّ من الكلام يمكنك أن تستخرج معانى أخر من هذا الحديث الشريف، و الله الهادى.

### المبحث الخامس [تحقيق في كون (هو أنت أنا) أسماء له تعالى]

قد عرفت أنّ ذاته سبحانه هي الهوية الحقيقية العينية التى تقوم و تظهر به كلّ هويّة في الأعيان ، و من هنا يظهر أنّ الأسماء الثلاثة - التى للخطاب و التكلّم و الغيبة، و هي أنت و أنا و هو - ثابتة أسماء له تعالى. فإنّها أسماء للهوية باعتبار الخطاب و التكلّم و الخلوّ عنهما. و قد قال سبحانه : « لا إله إلّا أنت سُبْحَانَكَ »<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> - الاسراء : ١١٠.

<sup>٢</sup> - التهذيب : ج ٣ ص ١٢٥.



و قال تعالى : « لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي » ٢ .

و قال تعالى : « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » ٣ .

و قال تعالى : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » ٤ .

و قال تعالى : « وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » ٥ ، الآيات.

و أما اسم الإشارة و الموصول فقد ورد الاطلاق، لكن لم يتعرض أحد بالاسمية فيها، قال تعالى : « ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ » ٦ .

و قال تعالى : « هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » ٧ .

و قال : « أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ » ٨ ، الآيات.

### المبحث السادس [ هل أسماء الله توقيفيه ]

قد شاع في الألسن أن أسماء الله تعالى توقيفيه، و قد أرسلوه إرسال المسلمات، و ليس المراد بالاسم هاهنا حقيقته، و هو الذات المأخوذ بوصف ما، لعدم رجوعه حينئذٍ الى معنى محصل ؛ بل المراد به الاسم اللفظي، و هو اسم الاسم حقيقة. و حينئذٍ فالمراد من التوقيف إما التوقيف على الرخصة الشرعية الكلية أو الشخصية، فيمكن توجيه القاعدة بوجهين :

أحدهما: أن معاني الألفاظ على المتداول المفهوم عندنا حيث لم تخل عن جهات النقص و الأعدام - و إن كانت مختلفة من هذة الجهات أيضاً، و ذلك مثل الإغواء و المكر و الحيلة و الإضلال، و مثل الكبير و الجسيم و نحوهما - و نحن لا نفى عقولنا بإدراك ما هو اللائق بحضرة المقدسة و تشخيصه و تمييزه عمّا لا يليق، احتيج الى ورود رخصة ما فى الايقاع و الإطلاق، و لضعف العقول عن الشرح و التفصيل فى كل مورد مورد احتيج الى ورود كل اسم أريد إطلاقه بنحو الاسمية عليه تعالى.

١ - الانبياء : ٨٧ .

٢ - طه : ١٤ .

٣ - البقرة : ٢٥٥ .

٤ - فاتحة الكتاب : ٥ .

٥ - البقرة : ٢٤٥ و ثمان موارد أخر.

٦ - الانعام : ١٠٢ .

٧ - الحشر : ٢٢ .

٨ - النمل : ٦٢ .

و الثاني : أن الأمر كذلك، لكن مجرد ضرب القاعدة بقوله تعالى : « وَ اللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ »<sup>١</sup> ، الآية، يكفي في مقام التعليم و أن نحذر عن إطلاق ما لا يليق بساحته المقدسة بحسب المعانى المفهومة من الألفاظ الدائرة في لغاتنا. هذا و هذان و جهان مختلفان بحسب النتيجة، فعلى الأول لا يجوز اطلاق الاسم ما لم يرد شرعاً، و ان علمنا خلوه عن جهات النقص و الأعدام. و على الثاني يجوز ذلك، سواء ورد بالخصوص شرعاً أم لا. و الظاهر أن مراد أكثر المتمسكين بهذه القاعدة هو المعنى الأول. و هو عليل، لقوله تعالى : « وَ اللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى » و قوله تعالى : « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى » و قوله تعالى : « قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى » و غير ذلك من الآيات التى يأبى سياقها عن الحمل على العهد الذهني، بل ظاهرها لام الجنس، و قد حلّ بالجمع، فتفيد الاستغراق و أن كل اسم أحسن فله تعالى وقد مر تقريبه فى الفصول السابقة مع أن مقتضى الاستدلال لزوم التوقف فى كل معنى يطلق بلفظ ما عليه تعالى، أعم من أن يكون بنحو الأفراد و التسمية أو بنحو التوصيف أو الحكاية بجملة أو كلام تام، كما لا يخفى.

و أمّا ما ورد من الروايات : « إن الله سبحانه تسعة و تسعين اسماً » كما مرّ نقلها<sup>٢</sup> ، فليس فى مقام الحصر الحصر من حيث العدد.

و يشهد بذلك أن الأسماء التى درجت فيها، و ذلك فى روايتين<sup>٣</sup> منها، مختلفة متفاوتة ؛ و قد أهمل فيها شىء كثير من الأسماء الواردة فى القرآن كما مرّ.

و يشهد بذلك أيضاً أن الرواية الأخرى، و هى رواية الكافى فى خلق الأسماء المنقولة سابقاً، تثبت من الأسماء الحسنى ثلاثمائة و ستين اسماً، بل ظاهر هذه الرواية أن الأسماء الحسنى غير مقصورة على مجرد ما يفيد التسمية من الأسماء كالرحمن الرحيم الملك، بل يعمّ الجمل التى تفيد بمجموع ألفاظها بمعنى لائق به تعالى<sup>٤</sup> ، فإنها عدت من الأسماء الحسنى لفظة تبارك و سبحان لا تأخذه سنة و لانوم، و إذا صحّ عدّ مثل هذه الجمل من الأسماء الحسنى صحّ فى سائر الجمل التى أُطلق عليه سبحانه فى الروايات و الخطب و المواعظ و الأدعية، و هى على اختلاف مواردها بحيث لا يشك المتتبع فيها أن هذا النحو من الإطلاق و

<sup>١</sup> - الاعراف : ١٨٠.

<sup>٢</sup> - المبحث الأول من الفصل الرابع.

<sup>٣</sup> - قد مرّ نقلهما فى المبحث الأول من الفصل الرابع.

<sup>٤</sup> - لا يقال إنّه له تعالى (ظ).

التوصيف غير موقوف على ورود تحديد شرعى لشخصى البتة، و إنما اللازم فى موردها خلوها عن إثبات النواقص و منافيات الكمال.

## فصل ٥

[ الاسم الأعظم ما تنتهى اليه جميع الاسماء ]

قد عرفت أن الأسماء هى حقائق الكمالات الوجودية، و إنها مترتبة متفرعة، نشأ بعضها من بعض ؛ و ظاهر أن الاسم الذى ينشأ منه آخر فهو أوسع دائرة و أرفع محلاً و أعظم أثراً منه، و لا يذهب هذا الترتب و التنزل أخذاً من تحت الى فوق الى غير النهاية، فما ينتهى اليه جميع الأسماء هو أعظم الأسماء، و اليه ينتهى جميع الآثار الوجودية التى لها فى دار الوجود.

## فصل ٦

[ الاسم الأعظم فى كلمات المعصومين عليهم السلام ]

و قد تواترت الآثار من الأخبار و الأدعية الصحيحة الواردة عنهم عليهم السلام فى وجود الاسم الأعظم، و هى على كثرتها لا تحتاج الى النقل فى هذا المختصر، و إنما المهم بيان شىء آخر، و هو أنك إذا تأملت الأخبار و الأدعية و ما يثبت فيها من الآثار للاسم الأعظم علمت أنه الاسم الذى يترتب عليه كل أثر متصور، من الإيجاد و الإعدام من الإبداء و الإعادة و الخلق و الرزق و الإحياء و الإماتة و الحشر و النشر و الجمع و الفرق، و بالجملة كل تحويل و تحوّل جزبى و كلى.

و من الواضح أن هذه التأثيرات غير مترتبة على اسم لفظى، و هو صوت مسموع عرضى قائم بمخارج الفم فان ؛ بل صادرة من ناحية المعنى، و هذا المعنى أيضاً غير مؤثر بما أنه صورة ذهنية خيالية مثلاً بالضرورة، فإنها مثل اللفظ، على أنها فانية فى المصداق الخارجى، على أن هذا المؤثر - كائناً ما كان - فهو مؤثر بوجوده العينى، و من المستحيل دخول مثل هذا الوجود فى الذهن، فليس الاسم المزبور إلا اسماً خارجياً حقيقاً، فهو الذات مأخوذاً بوصف، فهو بعض مراتب الذات المقدسة ؛ نعم هو أرفع المراتب و أعلاها، و هذا هو المراد من اسم الله الأعظم الواردة فى الآثار.

هذا و في البصائر مسنداً عن عمّار الساباطي، قال : « قلت لأبي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك أحبّ أن تخبرني باسم الله الأعظم. فقال : إنك لا تقوى على ذلك. قال : فلما ألححت قال : فكانك اذا ، ثم قام فدخل البيت هنيئة، ثم صاح بي : ادخل، فدخلت، فقال لي : ما ذلك ؟ فقلت : اخبرني به، جعلت فداك. قال : فوضع يده على الأرض، فنظرت الى البيت يدور بي، و أخذني أمر عظيم كدت أهلك، فضحك عليه السلام فقلت : جعلت فداك، حسبي لا اريد « الرواية ١ .

و روى في البصائر أيضاً شبيه القضية عن عمر بن حنظلة و أبي جعفر عليه السلام ٢ .  
و روى في البصائر أيضاً مسنداً عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إن اسم الله الأعظم على ثلاثة و سبعين حرفاً، و أنّما عند آصف منها حرف واحد، فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه و بين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، و عندنا نحن من الاسم اثنان و سبعون حرفاً، و حرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده، و لا حول و لا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم » ٣ .

و في البصائر أيضاً مسنداً عن البرقي يرفعه الى أبي عبدالله قال : « إن الله جعل اسمه الأعظم على ثلاثة و سبعين حرفاً، فأعطى آدم منها خمسة و عشرين حرفاً، و أعطى منها إبراهيم ثمانية أحرف، و أعطى موسى منها أربعة أحرف، و أعطى عيسى منها حرفين، يُحيى بهما الموتى و يُبرئ بهما الأكمه و الأبرص، و أعطى محمداً اثنين و سبعين حرفاً و احتجب حرفاً لئلا يعلم ما في نفسه و يعلم ما في نفس العباد » ٤ .  
و أنت بعد معرفتك أنّ للنفس الإنسانية أن تفنى في مرتبة من مراتب الذات، و لا يبقى حينئذٍ إلّا تلك المرتبة، تعرف معنى هذه الأخبار ؛ و لو كان هناك في الحقيقة لفظ كان حاله حال سائر ألفاظ الدعاء بالنسبة الى الاستجابة.

و من هنا يظهر أنّ المراد من الحروف في الرواية ليس هو حروف الهجاء، و هو كذلك قطعاً، فإنّ الاحتجاب حينئذٍ غير معقول.

و يؤيّده ما في الخبر « إنّ أحرف الاسم الأعظم متفرقة في القرآن و الإمام يؤلّفها و يدعو بها » ٥ ، الخبر.

١ - لم نجد في البصائر. نقله البحار عن الكشي : ج ٢٧ ص ٢٧، اختيار معرفة الرجال : في عمّار بن موسى الساباطي ص ٢٥٢ ح ٤٧١.

٢ - بصائر الدرجات : ج ٤ باب ١٢ في الائمة عليهم السلام انهم اعطوا اسم الله الاعظم ص ٢١٠ ح ١.

٣ - بصائر الدرجات : ص ٢٠٨ ح ١ و ٣.

٤ - المصدر السابق .

٥ - المصدر السابق .

و فى العيون و تفسير العياشى : « إنَّ بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم أَقرب الى اسم الله الاعظم من ناظر العين<sup>١</sup> الى بياضها »<sup>٢</sup> .  
و من هنا يظهر معنى ما ورد عن أئمة أهل البيت : « أنَّهم عليهم السلام الأسماء الحسنی »<sup>٣</sup> و « أنَّهم اسم الله الأعظم »<sup>٤</sup> ، و يظهر ذلك أيضاً من رواية الكافى السابقة .  
و إذا تذكَّرت تلك الرواية و ما ورد فى روايات الحجب ، علمت أنَّ محجوبية الاسم الأعظم و استثنائه فى علم الغيب أنَّما هو بكونه مسلوب التعيّنات، فلا تصل اليه الأيدى إلَّا بمسألة الفناء ، و لا خلق حينئذٍ، و الملك يومئذٍ لله. و لعلَّ هذا هو المراد باستئثار الحرف الواحد، و الله العالم .

تمَّ الكلام، و الحمد لله ربَّ العالمين ، و الصلاة على  
محمد و آله أجمعين، فى العشر الاخير من شهر  
محرم الحرام سنة احدى و ستين و ثلاثمائة  
بعد الألف الهجرية القمرية .

<sup>١</sup> - المصدرين : من سواد العين .

<sup>٢</sup> - عيون اخبار الرضا عليه السلام : ج ٢ ب ٣٠ ص ٥ ح ١١، تفسير العياشى : ج ١ ص ٢١ ح ١٣ .

<sup>٣</sup> - تفسير العياشى : ج ٢ ص ٤٢ ح ١١٩ .

<sup>٤</sup> - لم نعتز عليه .

## رسالة الأفعال

هو الله

رسالة في أفعال الله سبحانه

وهي الرسالة الثالثة من كتاب التوحيد

وهي آخر الرسائل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، و الصلاة و السلام على أوليائه المقربين سيّما محمّد و آله الطاهرين. هذه رسالة و وضعنا فيه إجمال القول في أفعال الله سبحانه و ما يتفرّع عليها من القول في القضاء و القدر و البداء و السعادة و الشقاوة و الجبر و التفويض، و سائر ما يشبهها من الهداية و الإضلال و المشية و الإرادة و التمحيص و الاستدراج و الغضب و الأسف و نحوها، و الله المستعان.

### فصل ١

[ لا فعل إلّا فعله سبحانه ]

قد برهنّا في « رسالة الأسماء الحسنى » على أنّ كلّ فعل متحقّق في دار الوجود، مع إسقاط جهات النقص عنه و تطهيره من أدناس المادة و القوّة و الإمكان . و بالجملة كلّ جهة عدمية، فهو فعله سبحانه ؛ بل حيث كان العدم و كلّ عدمى بما هو عدمى مرفوعاً عن الخارج حقيقة، إذ ليس فيه إلّا الوجود و أطواره و رشحاته، فلا فعل في الخارج إلّا فعله سبحانه و تعالى، و هذا أمر يدلّ عليه البرهان و الذوق أيضاً.

### فصل ٢

[ الآيات و روايات تدل على ما مرّ ]

و يدلّ على ما مرّ النقل أيضاً، قال تعالى : « ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ »<sup>١</sup> .

وقال تعالى : « اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ »<sup>٢</sup> ، وفي هذا المعنى آيات كثيرة .

وقال تعالى : « الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ »<sup>٣</sup> ، فأخبر سبحانه بأنّ كلّ شيء من خلقه حسن .

ثم قال تعالى : « مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ »<sup>٤</sup> .

وبهذه الآية يتمّ أنّ السيئات، من حيث إنها سيئات، أمور عدمية، ؛ وإنما أخذنا الحيثية لمكان ما قبل

الآية، وهو قوله تعالى : « وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ

عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ لَهْوَ لَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا »<sup>٥</sup> .

وفي الكافي وغيره مستفيضاً عن الرضا عليه السلام قال: « قال الله : ابن آدم! بمشيئتي كنت أنت الذي

تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوتى أدّيت فرائضى، وبنعمتى قويت على معصيتى، جعلتك سمياً بصيراً قوياً،

ما أصابك من حسنة فمن الله، و ما أصابك من سيئة فمن نفسك، و ذلك إنى أولى بحسناتك منك، و

أنت أولى بسيئاتك منى، و ذلك إننى لا أسأل عمّا أفعّل، و هم يسألون »<sup>٦</sup> .

و هذا الحديث القدسي من جوامع الكلم، يتضمّن بيان جميع ما ذكر .

و بالجملة فالفعل كلّ من الله ، كما مرّ ؛ و مع الغضّ عن ذلك النظر فالأفعال كلّها من حيث حسناتها

سبحانه .

ثمّ إنّ الذى خصّه سبحانه بالذكر فى كلامه أو فى السنة أوليائه بعض هذه الأفعال، و هى مع ذلك كثيرة ،

إلّا أنّها بجملتها على قسمين :

أحدهما : أفعاله سبحانه فى تفاصيل خلقه و قيمومته، و هى قيامه بلوازم الخلقة و شؤونها، كقوله تعالى : «

قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ كُفْرُونٌ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَجَعَلَ فِيهَا

رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمِئِذٍ \* ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ

وَهُى دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ \* فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ

<sup>١</sup> - غافر : ٦٢ .

<sup>٢</sup> - الرعد : ١٦ .

<sup>٣</sup> - السجدة : ٧ .

<sup>٤</sup> - النساء : ٧٩ .

<sup>٥</sup> - النساء : ٧٨ .

<sup>٦</sup> - أصول الكافي : ج ١ باب المشيئة و الإرادة ص ١٥٢ ح ٦ .

أَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ «<sup>١</sup> ، و قوله تعالى : « ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ »<sup>٢</sup> و قوله تعالى : « أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا »<sup>٣</sup> ، الى غير ذلك من الآيات المشتملة على أنحاء الأفعال، من القول و الكلام و التصوير و التسخير و الكتابة و التوصية و الإنبات و السوق و السقاية و أمثالها.

و ثانيهما : أفعاله تعالى في باب السعادة و الشقاوة و ما يلحق بهما، قال تعالى : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا \* وَ مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا \* كُلًّا نَمِدُّ هُوْلَاءِ وَ هُوْلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَ مَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا »<sup>٤</sup> ، الآيات ، و هي تدلّ على إجمال القول الكليّ في إفاضته على كلتا الطائفتين و امداده لكلا الجانبين.

ثمّ شرح سبحانه الحال في جانب الشقاء في آيات أخر، فقال سبحانه : « سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ \* وَ أَمْلَى لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ »<sup>٥</sup> .

و قال تعالى : « أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا »<sup>٦</sup> .

و قال تعالى : « وَ مَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ \* وَ أَنَّهُمْ لَيَصْدُوْنَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ \* حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ »<sup>٧</sup> .

و قال تعالى : « كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ » الى أن قال : « وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّْلَ مَرَّةٍ وَ نَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ »<sup>٨</sup> .

و قال تعالى : « فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ »<sup>٩</sup> .

<sup>١</sup> - فصلت : ٩-١٢ .

<sup>٢</sup> - الاعراف : ٥٤ .

<sup>٣</sup> - النحل : ٦٥ .

<sup>٤</sup> - الاسراء : ١٨-٢٠ .

<sup>٥</sup> - الاعراف : ١٨٢ و ١٨٣ .

<sup>٦</sup> - مريم : ٨٣ .

<sup>٧</sup> - الزخرف : ٣٦-٣٨ .

<sup>٨</sup> - الانعام : ١٠٨-١١٠ .

<sup>٩</sup> - الانعام : ١٢٥ .



و قال تعالى : « اَنَا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ \* وَ جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ »<sup>١</sup> .

الى غير ذلك من الآيات التي تنبئ عن أنه سبحانه يخرجهم من النور، و يتركهم في ظلمات موحشة متراكمة، و يزيّن لهم سراب الخبائث و السيئات بصور جميلة حسنة ، و يجعل الأغلال في أعناقهم و السدّ من بين أيديهم و من خلفهم، و يعميهم ، و يصمّمهم، و يبكمهم، و يقلب أفئدتهم و أبصارهم، و يحرج قلوبهم و يضيقها فلا تسع الحقّ، و يلزمهم بقراء الشياطين و رفقاء الأبالسة، و يستدرجهم ، و يملئ لهم، ثمّ يحلهم دار البوار جهنم يصلونها و بسّ القرار ؛ و أمثال هذه الآيات واردة في جانب السعداء أيضاً .  
و من هذا الباب آيات أخر تدلّ على لزوم الأمر، كقوله تعالى : « قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ »<sup>٢</sup> ، و قوله تعالى : « وَ لَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَ لَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »<sup>٣</sup> .

و قوله تعالى : « وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ »<sup>٤</sup> .

و من هذا الباب ما يدلّ من الآيات على أنّ الأمر مقضى، و القضاء الحتم مفروغ عنه، مكتوب في اللوح المحفوظ، و قد جفّ القلم ؛ قال تعالى : « وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا »<sup>٥</sup> ، ثم قال تعالى : « وَ إِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا »<sup>٦</sup> .

و قال تعالى : « وَ لَا رَطْبٌ وَ لَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ »<sup>٧</sup> .

و قال : « مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ »<sup>٨</sup> .

<sup>١</sup> - يس : ٨ و ٩ .

<sup>٢</sup> - ص : ٨٤ و ٨٥ .

<sup>٣</sup> - السجدة : ١٣ .

<sup>٤</sup> - الاعراف : ١٧٩ .

<sup>٥</sup> - الاسراء : ١٦ .

<sup>٦</sup> - الاسراء : ٥٨ .

<sup>٧</sup> - الانعام : ٥٩ .

<sup>٨</sup> - الحديد : ٢٢ .

و هذا القسم الثانى من الأفعال التى نسبها الحق سبحانه الى نفسه يوجب بحسب ظاهر الآيات السابقة تأثيراً ما للحق سبحانه فى جميع الأفعال، حتى السيئات من حيث هى سيئات ؛ و قد عرفت قيام البرهان و نهوض النقل و البيان على خلاف ذلك ؛ و هذا هو الموجب لتكلم القوم فى القضاء و القدر و السعادة و الشقاوة و نحوها ؛ و لا محالة يتبعها النظر الظاهرى من حيث نظام التكليف و الجزاء و الثواب و العقاب و الشكر و العتاب ، كما ستعرف .

### فصل ٣

#### [ معنى القضاء والقدر ]

حيث إن الموجودات، بعد الحق سبحانه و أسمائه و صفاته ، ذو مراتب ثلاث، و هى بنحو الكية، على ما يقطع به البرهان المذكور فى « رسالة الوسائط » ثلاثة عوالم : عالم العقل المجرد ، و عالم المثال ، و عالم المادة. و هى مترتبة ترتب العلة و المعلول و الكمال و النقص ؛ و قد فرغنا عن ذلك هنالك. فكل ما يوجد فى عالم المادة و الجسم فصورته مطابقة لما فى عالم المثال من الصور، و هى مطابقة لصور عالم العقل المجرد ؛ و ينتج ذلك أن نظام كل سافل منها مثبت فى ما فوقها ثبتاً متقناً لا يتطرق اليه التغيير و التبدل ، إذ ثبوت وجود فى عالم سافل يحتاج الى علة فى ما فوقه، و هى إذا تحققت لم تتغير، إذ الواقع لا يتغير عما هو عليه، فما يقبل التغيير من حيث هو واقع فليس بواقع، فقبول العلة للتغيير مع تحقق المعلول و وجوده و وقوعه مستلزم لخلاف الفرض أو الانقلاب المحال، فنظام الوجود فى كل عالم موجود مثبت فى سابقه و ما فوقه بنحو ثابت غير متغير.

ثم إن الحوادث التى فى عالم الأجسام، حيث أنها انما تتم وجودها بالمادة، فهى كائنة ما كانت محتاجة الوجود الى استعداد سابق تحمله مادة ؛ و تتكثر الاستعدادات و الإمكانيات بتكثر جهات المستعد له، و يتسلسل فى ضمن موجودات جسمية سابقة بالزمان، كلما بعد حامل الاستعداد عن المستعد له قل تخصصه و تعيينه فى ضمن المستعد و زاد إبهامه و اشتد إجماله و كثرت نسبته الى أمور يمكن وجودها فيه، و كلما قرب من المستعد له كثر تخصص المستعد له و تعيينه حتى يتم الاستعداد و يتصف بصفة الوجود، و حينئذ يتم تعيينه و تشخيصه و امتنع تبدله لعدم إبهام فيه، و استحال تغييره عما هو عليه.

مثال: ذلك الإنسان، فإنه قبل تمامية صورته الإنسانية علقه و نطفة ، و قبل ذلك مركّب غذائي، و قبل ذلك مركّب نباتي ، و قبل ذلك مركّب عنصرى، و قبل ذلك عنصراً أو عناصر بسيطة ؛ و هو حين كونه فى مرتبة العنصر يمكن أن يصير واحداً من ألوف من المحتملات، حتى يتخصّص بألوف من الاستعدادات و الفعليات، فيصير مركّباً عنصرياً مخصوصاً يبطل غيره من الممكنات و المحتملات جميعاً، و لا يبقى غير ما هو صار كذلك، و يمتنع تغييره عنه الى غيره، إذ المفروض بطلان استعداده ؛ و لا يزال كلّما قرب من أفق الإنسان بطلت عدّة من الاستعدادات ، و سدّ طريق جمع من المحتملات، حتى يصير انساناً ، و يبطل حينئذٍ جميع ما يمكن أن يكون هو إلّا الإنسانية، و امتنع أن لا يكون إنساناً و يتغيّر عنها الى غيرها، إذ الغير باطل زائل ؛ كل ذلك ممّا لا شكّ فيه .

و قد تبين أن المانع فى مرتبة تمامية الوجود عن التغيّر، كما مرّ، إنّما هو الوجود التامّ الذى يترتب به على الشىء آثاره، إذ وجود الشىء نفس الشىء، و مع فرض نفس الشىء كالإنسان مثلاً يمتنع تغييره عن نفسه، أى فرض الإنسان و وقوع الإنسان موقعه، فافهم ذلك .

و اعلم أن هذا غير التغيّرات و التبدلات التى فى هذا العالم، فإنّ تغيّر الإنسان مثلاً الى التراب و غيره ليس تغيّراً فى وجود الصورة الإنسانية ، و إنّما هو ارتفاع وجود الإنسان عن المادة و نزول صورة التراب اليها، فالتغيّر إنّما هو فى المادة الغير التامة إلّا بصورتها، و أمّا وجود الصورة فليس فيه تغيّر، و إنّما هو البطلان، و فى الحقيقة إنّما هو انتهاء أمد وجود و ابتداء أمد وجود آخر.

و بالجملة، فالوجود الخارجى مانع عن طروق التغيّر و التبدل، و هو الذى يلزمه آخر التفاصيل الواقعيّة للشىء فى ذاته و آثاره و نسبة<sup>١</sup> الخارجية مع ارتفاع إبهامه من كلّ وجه ؛ و إذا كان ذلك كذلك، و جميع استعدادات الوجودات المادية و الحوادث الإمكانية و حوامل تلك الاستعدادات أيضاً موجودة فى الخارج، فهى أيضاً ممتنعة التغيّر عمّا هى عليها ؛ فجميع الوجودات التى يتركّب منها عالم الأجسام و يستقرّ عليها نظامه أمور ثابتة بهذا النظر غير قابلة للتغيّر، و إنّما تقبل التغيّر لا فى أنفسها بل بقياس بعضها الى بعض و نسبته ؛ فالنطفة من حيث إنّها نطفة غير قابلة للتغيّر عمّا هى عليها، و لا استعدادها لأن يكون إنساناً أو جسماً آخر بما هو استعداد موجود قابل للتغيّر، و لا مادتها الحاملة للاستعداد فى أنّها مادة قابلة للتغيّر، و إنّما المادة إذا أضيفت الى الصور الحاصلة فيها تقبل أن تتحصّل بإحداها و أقربها مثلاً صورة الانسان.

<sup>١</sup> - نسبه (ظ).

و بالجملة، فهذا النظام الجسماني بأجزائها نظام غير قابل للتغيير، مثل النظام في عالمي المثال و العقل المجرد، غير أنّ في ضمنه نظاماً آخر لقبول التغيير غير مؤثر قوّته في فعليته .

و حيث ثبت بالبرهان اشتغال عالم المثال لنظام هذا العالم بجميع تفاصيله، و اشتغال عالم العقل المجرد لتفاصيل عالم المثال، ففيهما من تفاصيل نظام هذا العالم المادي قسم يقبل التغيير في مرتبة وقوعه في عالم المادة و قسم لا يقبل التغيير بتاتاً ؛ و حيث إنّ عالم المثال شبح و مثال لعالم العقل المجرد كان ثبوت الحكم بقسميه بالحقيقة هناك، فافهم، و أحسن التأمل فيه .

فتبين من جميع ما مرّ أنّ لوجود الحوادث مرتبتين سابقتين عليها : مرتبة لا تقبل التخلف عن ذلك، و هو الذي نسميه بالقضاء الحتم ؛ و مرتبة تقبل التخلف و التغيير، كمرتبة مقتضياتها و عللها الناقصة و الاستعدادات، و هي التي نسميها بالقدر، و هو القابل لوقوع المحو و الإثبات و هو البداء .  
و تبين أيضاً أنّ هذا التقسيم فيما يقبل التركيب في وجوده، و أمّا ما لا يقبله كالمجردات المحضة فليس فيها إلّا القضاء فحسب.

## فصل ٤

[ ما ورد من الاخبار في القضاء و القدر ]

و يدلّ على ما مرّ النقل أيضاً، و قد مرتّ بعض الآيات في ذلك .  
و في المحاسن مسنداً عن هشام بن سالم، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « إنّ الله إذا أراد شيئاً قدره، فإذا قدره قضاه، فإذا قضاه أمضاه »<sup>١</sup> .

و فيه مسنداً عن محمد بن اسحاق، قال : قال أبو الحسن عليه السلام ليونس مولى علي بن يقطين : « يا يونس لا تتكلم بالقدر .

قال : (اني) لا أتكلّم بالقدر، ولكن أقول لا يكون إلّا ما أراد الله، و شاء، و قضى، و قدر .

فقال : ليس هكذا أقول، ولكن أقول : لا يكون إلّا ما شاء الله، و أراد، و قدر، و قضى .

ثمّ قال : أتدرى ما المشية ؟ فقال : لا .

قال : همّه بالشىء . أو تدرى ما أراد ؟ قال : لا .

<sup>١</sup> - المحاسن : باب الارادة و المشية ص ٢٤٣ ح ٢٣٥ ، بحار الانوار : ج ٥ ص ١٢١ .

قال : إتمامه بالمشية .

فقال : أو تدرى ما قدر ؟

قال : لا .

قال : هو الهندسة بالطول والعرض والبقاء .

ثم قال : إن الله إذا شاء أَرادَه، و إذا أَرادَه قَدَّرَه، و إذا قَدَّرَه قَضاه، و إذا قَضاه أَمْضاه «<sup>١</sup> ، الخبر .

و فى خبر آخر : « فذلك الذى لا مردّ له »<sup>٢</sup> .

و فى التوحيد مسنداً عن زرارة، عن عبدالله بن سليمان، عن أبى عبدالله عليه السلام « قال : سمعته يقول :

إنّ القضاء و القدر خلقان من خلق الله، و الله يزيد فى الخلق ما يشاء »<sup>٣</sup> .

أقول : و ذيل الخبر إشارة الى البداء، و صدره إشارة الى ما بيناه من كونهما مرتبتين من الوجود، و إن كانا

من مراتب العلم من جهة أخرى، كما تشير اليه أخبار أخر .

ففى التوحيد عن المفسر بإسناده الى العسكرى عليه السلام فيما يصف به الربّ : « لا يجوز فى قضيته،

الخلق الى ما علم متقادون، و على ما سطر فى المكنون من كتابه ماضون، لا يعملون خلاف ما علم منهم،

و لا غيره يريدون »<sup>٤</sup> ، الخبر .

و فى المحاسن مسنداً عن داود بن سليمان الجمال، قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام و ذكر عنده القدر

و كلام الاستطاعة، فقال : « هذا كلام خبيث، أنا على دين آبائى، لا أرجع عنه، القدر حلوه و مرّه من الله، و

الخير و الشرّ كلّه من الله »<sup>٥</sup> .

أقول : و الأخبار بهذا اللسان أيضاً مستفيضة .

و فى علل الشرائع مسنداً عن عمرو بن بشر البزاز، عن الباقر عليه السلام فى حديث : « و الله لقد خلق الله

آدم للدنيا، و أسكنه الجنة ليعصيه، فيردّه الى ما خلقه له »<sup>٦</sup> .

<sup>١</sup> - المحاسن : ص ٢٤٤ ح ٢٣٨، بحار الانوار : ج ٥ ص ١٢٢ .

<sup>٢</sup> - المحاسن : ص ٢٤٤ ح ٢٣٧ .

<sup>٣</sup> - التوحيد : ب ٦٠ ص ٣٦٤ ح ١ .

<sup>٤</sup> - التوحيد : ب ٢ ص ٤٧ ح ٩ .

<sup>٥</sup> - المحاسن : ج ١ كتاب مصابيح الظلم ب ٤٤ ص ٢٨٣ ح ٤١٧ .

<sup>٦</sup> - علل الشرائع : ج ٢ ب ٢٨٥ ص ٥٧٨ ح ٣ .

أقول : و الأخبار فى هذا المساق أيضاً مستفيدة على تعلّق القضاء و القدر بالمعاصى أيضاً، و ان لم يتعلّقا بهما من حيث إنهما كذلك .

و أجمع خبر فى ذلك ما استفاض نقله عن على عليه السلام : « أنه جاء رجل الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر .

فقال : بحر عميق فلا تلجه .

فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر .

قال : طريق مظلم فلا تسلكه .

قال : يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر .

قال : سرّ الله فلا تتكلّفه .

قال : يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أما إذا أبيت فإنى سائلك، أخبرنى أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد، أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله ؟

قال : فقال له الرجل : بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : قوموا فسلموا على أخيكم، فقد أسلم و قد كان كافراً.

قال : و انطلق غير بعيد، ثم انصرف اليه، فقال له : يا أمير المؤمنين أبالمشية الأولى تقوم و نقعد و نقبض و نبسط ؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : و إنك لبعد فى المشية ! أما انى سائلك عن ثلاث لا يجعل الله لكّة فى شىء منها مخرجاً، أخبرنى أخلق الله العباد كما شاء أو كما شاؤوا ؟

فقال : كما شاء .

قال : فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاؤوا ؟

فقال : لما شاء .

قال : يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤوا ؟

قال : يأتونه كما شاء .

قال : قم فليس اليك من المشية شيء <sup>١</sup> .

أقول : استدللّ صلوات الله عليه بثبوت القدر، و هو تأثير الحقّ سبحانه في تفاصيل الموجودات و صدور أفعالها و منها الإنسان بالصفات و سبقها على الأفعال ؛ فإنّ سبق الرحمة يقتضى إيجاد مقتضاها، و هي تقتضى مرحوماً ؛ كما أنّ سبق صفة المغفرة يقتضى ذنباً يقع عليه المغفرة، كما في الخبر : « لو لا أنّكم تذبون لذهب بكم و جاء بقوم يذبون » <sup>٢</sup> .

وأما ذيل الخبر فيشير الى أنّ مشية الحقّ سبحانه هي الغالبة القاهرة على كلّ حال، و هو عليه السلام و ان لم يصرّح إلّا أنّ فحوى الكلام يدلّ على أنّه يقول فيه على صفات الحقّ سبحانه المناسبة له، كالقدرة و القهر و الملك، كما يفسره قوله عليه السلام في خبر آخر، و قد سئل عن القدر، فقال عليه السلام : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها و ما يمسك فلا مرسل لها » .

فقيل : يا أمير المؤمنين إنّما سألتك عن الاستطاعة التي بها لقوم و تقعد و نقبض و نبسط.

فقال : استطاعة تملك مع الله أم دون الله ؟ فسكت القوم و لم يحروا جواباً . فقال عليه السلام : إن قلتكم إنّكم تملكونها مع الله قتلتمكم ؛ و إن قلتكم دون الله قتلتمكم .

فقالوا : كيف نقول يا أمير المؤمنين ؟

قال : تملكونها بالذي يملكها دونكم، فإن أمدكم بها كان ذلك من عطائه، و ان سلبها كان ذلك من بلائه. إنّما هو المالك لما ملّكم، و القادر لما عليه أقدركم، أما تسمعون ما يقول العباد و يسألونه الحول و القوّة حيث يقولون لا حول و لا قوّة إلّا بالله <sup>٣</sup> ، الخبر .

و في التوحيد مسنداً عن زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « كما أنّ بادية النعم من الله و قد نحلكموه، كذلك الشرّ من أنفسكم و ان جرى به قدره » <sup>٤</sup> .

أقول : و هذا الخبر في معنى سابقه ؛ و جملة المعنى : أنّ الإيجاد كالوجود له سبحانه بالاستقلال، و لغيره سبحانه بالتبع و به سبحانه .

و يدلّ عليه أيضاً ما في التوحيد مسنداً عن الزهري قال : قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام : جعلني الله فداك، أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل ؟

<sup>١</sup> - التوحيد : ب ٦٠ ص ٣٦٥ ح ٣ .

<sup>٢</sup> - جامع السعادات : التلازم بين الخوف و الرجاء ج ١ ص ٢٨٧ .

<sup>٣</sup> - بحار الانوار : ج ٥ ص ١٢٣ .

<sup>٤</sup> - التوحيد : ب ٦٠ ص ٣٦٨ ح ٦ .

فقال : إنّ القدر و العمل بمنزلة الروح و الجسد، فالروح بغير جسد لا تحسّ، و الجسد بغير روح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا و صلحا ؛ كذلك العمل و القدر، فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق، و كان القدر شيئاً لم يحسّ ؛ و لو لم يكن العمل بموافقته من القدر لم يمضِ و لم يتم ؛ ولكنهما باجتماعهما قويا «<sup>١</sup> ، الخبر .

و فى الكافى و التوحيد مسنداً عن المعلّى، قال : سئل العالم عليه السلام : كيف علم الله ؟ قال : علم ، و شاء ، و أراد، و قدر، و قضى، و أمضى . فأمضى ما قضى، و قضى ما قدر، و قدر ما أراد . فبعلمه كانت المشيئة، و بمشيئته كانت الإرادة ، و بإرادته كان التقدير، و بتقديره كان القضاء، و بقضائه كان الإمضاء، فالعلم متقدّم على المشية و المشيئة ثانياً، و الإرادة ثالثة ، و التقدير واقع على القضاء بالإمضاء، فله تبارك و تعالى البدء فيما علم متى شاء، و فيما أراد لتقدير الأشياء . فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بدء . فالعلم فى المعلوم قبل كونه، و المشيئة فى المنشأ قبل عينه، و الإرادة فى المراد قبل قيامه، و التقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها و توصيلها أعياناً و قياماً، و القضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ذى لون و ريح و وزن و كيل و ما دبّ و ما درج من إنس و جنّ و طير و سباع و غير ذلك ممّا يدرك بالحواس فله تبارك و تعالى فيه البدء ممّا لا عين له، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بدء، و الله يفعل ما يشاء، و بالعلم علم الأشياء قبل كونها، و بالمشية عرف صفاتها و حدودها و إنشائها قبل إظهارها، و بالإرادة ميّز أنفسها فى ألوانها و صفاتها و حدودها، و بالتقدير قدر أوقاتها و عرف أولها و آخرها، و بالقضاء أبان للناس أماكنها و دلّهم عليها، و بالإمضاء شرح عللها و أبان أمرها ذلك تقدير العزيز العليم «<sup>٢</sup> .

أقول : و يستفاد من هذه الرواية جلّ ما بيناه فى الفصل السابق . و قد تبين به مورد القضاء و القدر، كما مرّ، و أنّ البدء مورده القدر، على أنّه المصحّح له أيضاً . و قد روى العياشى عن الباقر أنّه قال : كان على بن الحسين عليه السلام يقول : « لو لا آية فى كتاب الله لحدتكم بما يكون الى يوم القيامة . فقلت له : آية آية ؟ قال : قول الله : « يمحو الله ما يشاء و يثبت و عنده أم الكتاب » «<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> - التوحيد : ب ٦٠ ص ٣٦٨ ح ٦ .

<sup>٢</sup> - اصول الكافى : ج ١ ب ٤٧ ص ١٤٨ ح ١٦، التوحيد : ب ٥٠ ص ٣٣٤ ح ٩ .

<sup>٣</sup> - تفسير العياشى : ج ٢ ص ٢١٥ .



و مثله فى التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام<sup>١</sup> . و الأخبار الواردة فى ثبوت البداء فوق حد الاستفاضة، تركنا نقلها إثارة للاختصار .

و فى المحاسن مسنداً عن حريز و عبدالله بن مسكان قالا : قال أبو جعفر عليه السلام : « لا يكون شىء فى الأرض و لا فى السماء إلا بهذه الخصال السبعة : بمشيئة، و إرادة، و قدر، و قضاء، و إذن، و كتاب ، و أجل ؛ فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة منهن فقد كفر »<sup>٢</sup> .  
أقول : و هى إشارة الى قوله تعالى : « وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ »<sup>٣</sup> .  
و قوله تعالى : « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »<sup>٤</sup> .  
و قوله تعالى : « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ »<sup>٥</sup> .  
و قوله تعالى : « لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ »<sup>٦</sup> .  
و قوله تعالى : « مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ »<sup>٧</sup> .  
و قوله تعالى : « مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى »<sup>٨</sup> .  
و قوله تعالى : « لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ »<sup>٩</sup> ، و أمثال هذه الآيات .

و اعلم أن أخبار هذا الباب مثل باب السعادة و الشقاوة و الجبر و التفويض على ثلاثة أقسام : قسم منها متعرض لحقائق الأمور، و قسم منها يكتفى و يجرى مع الناس بحسب ظاهرها لهم، و قسم ينهى عن التعرض لهذه الأبحاث، كما مر فى الخبر عن أمير المؤمنين عليه السلام : « طريق مظلم فلا تسلكه .. الى آخره » .

و فى تفسير القمى : و فى حديث آخر : « سُئِلَ - يعنى الصادق عليه السلام - هل بين الجبر و القدر منزلة ؟ قال : نعم . فقيل : ما هو ؟ فقال : سرّ من أسرار الله »<sup>١</sup> ، الخبر . و من المعلوم أن جواباتهم عليهم عليهم السلام على قدر أفهام السائلين و السامعين، على اختلاف مراتبهم .

<sup>١</sup> - التوحيد : ٤٢ باب حديث ذعبل ص ٣٠٥ .

<sup>٢</sup> - المحاسن : ص ٢٤٤ ح ٢٣٦ ، بحار الانوار : ج ٥ ص ١٢١ .

<sup>٣</sup> - ابراهيم : ٢٧ .

<sup>٤</sup> - يس : ٨٢ .

<sup>٥</sup> - القمر : ٤٩ .

<sup>٦</sup> - القصص : ٧٠ .

<sup>٧</sup> - التغابن : ١١ .

<sup>٨</sup> - الاحقاف : ٣ .

<sup>٩</sup> - الرعد : ٣٨ .

## فصل ٥

### [ الكلام فى السعادة و الشقاوة ]

الأنواع التى لها نفوس مجردة تجرد ؛ أمّا هى فى أوّل وجودها أنواع مادّية محضة، ثم تتحرّك ذواتها بالحركة الجواهرية و تصير مجردة تجرداً خيالياً و تقف هناك، أو تتجاوز عنه بالحركة الجوهرية فتصير مجردة تجرداً عقلياً كلياً، و ذلك فى بعض أفراد الإنسان . فهذه الأنواع جميعاً جسمانيه الحدوث روحانيه البقاء فهذه الأنواع ذوات النفوس أنواع متوسّطة، خلافاً لجميع الفلاسفة المتقدمين من حكماء مصر و اليونان و غيرهم و قدماء حكماء الإسلام .

و الإنسان من بينها خاصّة - و يمكن أن يلحقه بعض الحيوان - نوع متوسّط تحته أنواع كثيرة تتصوّر بعد تجرّده بصورها و يقف دونها، أو يتجاوزها الى صور عقلية و يقف دونها.

و حيث إنّ العود مثل البدء أو عينه بوجه، فالنوعية الأخيرة التى يرتقى إليها و يقف دونها الإنسان هى المرتبة التى منها نزل ، و ان كان بين المرتبتين - أعنى البدء و العود - فرق، و سيجىء الإشارة اليه . هذه أصول تفرّد بوصفها و البرهنة عليها صدر المتألهين قدّس سرّه .

و بعد وضعها نقول : التجارب التام تفيد أنّ بين خصوصيات أبنية الأبدان و أمزجتها و بين الأخلاق ارتباطاً تاماً . و الأخلاق ملكات ، أى علوم راسخة تتلبّس بها النفس بواسطة الأحوال و تكرّرها، حتى ترسخ و تثبت ثبوتاً غير جائز الزوال . و التجارب أيضاً حاكمة بتأثير التربية و خاصّة التربية التعليمية بالتلقين . و هذا يفيد أنّ تأثير أوضاع الأبدان فى باب انتشار الأخلاق ليس على حدّ الإيجاب ، بل بنحو الاستعداد الشديد، غير أنّ للخلق حدّاً يستحيل معه زواله.

هذا فالنفس أوّل ما تحدث بحركة البدن الجوهريّة حيث يأخذ الخيال فى الفعل، و هى حينئذٍ متلوّنة بلون البدن تلوّناً قوياً، إلّا أنّه غير بالغ بعد مرتبة اللزوم ؛ ثم تخلى هى و ما بين يديها من نوع التربية و العلوم و الاعتقادات و الحوادث المرتبطة بها المتماسّة معها، فلا تزال تسلك سبيلاً بعد سبيل، و تتراكم عليها الأحوال و الاعتقادات ، و ينتج بعضها بعضاً، حتى ترسخ فيها رسوخاً غير مفارق ؛ و هذه صورة نفسانية تفرق بها نفس عن نفس، و هو تنوع النفس . فإن كانت صورة سعادة فتقع فى البرزخ فى سبيل السعادة، و

<sup>١</sup> - تفسير القمى : مقدمة الكتاب ص ٢٤ .

إن كانت صورة شقاوة ففي سبيل الشقاوة، و إن كان تجرّدها تجرّداً برزخياً وقفت دونه، و إن تجاوزته تجاوزته.

هذا بقى هنا شيء ، وهو أنّ كمال كلّ معلول و غاية وجوده هو وجود علّته، و من المستحيل أن يتكامل معلول فيتجاوز كمال علّة وجوده و المرتبة التي فيها وجودها ؛ و من المستحيل أن يتكامل معلول و يطوى جميع مراتب كماله الوجودي فلا ينتهي الى مرتبة علّته، أي لا يتصل الى حدّه بعده علّته، و إلّا لزم خلاف الفرض ؛ و من المستحيل أيضاً أن يلغى غاية علّة من العلل الطولية المجرّدة من فعلها، إذ المفروض أنّها مجرّدة ثابتة غير متغيّرة، و معلولاتها أنّما صدرت عنها بهذه الحيثية، و هي غير متغيّرة، ففرض تخلف غاياتها أو غايات معاليلها محال .

و من هذه المقدمات يستنتج أنّ الشيء في عوده أنّما يستقرّ في مرتبة تعيّن منها ذاته، و فوقه علّته ؛ فكلّ شيء يعود الى ما بُدئ منه، غير أنّ بين البدو و العود فرقاً من حيث إنّ العود ينشعب الى دار سعادة و دار شقاوة، و البدو لم ينشعب إليها، بل هي دار سعادة فحسب ؛ لكن يجب أن يعلم أنّ السعادة في البدو أنّما هي السعادة العامّة دون السعادة الخاصّة التي تقابلها الشقاوة، فلا منافاة بين سعادة البدء و تعيّن ذات الشقي منها و عوده الى تلك المرتبة و هو شقي، و البدء و العود مع ذلك واحد، فافهم إنّ كنت من أهله إن شاء الله تعالى .

و قد تقدّم أنّ النظام العقلي في عالم المجرّدات و النظام المثالي في عالم المثال و أحد وجهي النظام الجسماني في عالم الأجسام نظام ثابت غير متغيّر، فكيفما كان تعيّن النوع الجسماني - و منها الإنسان الذي هو جسماني الحدوث - من سعادة و شقاوة فكذلك يعود، هكذا ينبغي أن تفسر السعادة و الشقاوة الذاتيتان، دون ما يترائي من ظاهر لفظهما ، حتى يلزمه بطلان تأثير التربية و لغوية التكاليف و اختلال نظام التشريع، و بالجملة بطلان المجازاة و الثواب و العقاب، و الله الهادي .

و اعلم أنّ ما ذكرناه في هذا الفصل كلّه مبرهن عليه، غير أنّنا أشرنا الى برهان بعض و أضربنا عن بعض لطول مقدماتها و ترتبها على أخرى، من أرادها فليراجع المطوّلات .

## فصل ٦

[ ما يستفاد من الآيات و الروايات في معنى السعادة و الشقاوة و ذكر أخبار الطينه و الذر و الميثاق ]

و النقل أيضاً يدلّ على ما مرّ، فإنّ الآيات المذكورة في الفصل الثاني و ان دلّت على أنواع مقت الله للأشقياء و إضلالهم عن طريق الهداية و المكر معهم و أقسام التصرف في باطنهم، إلّا أنّنا إذا رجعنا إليها و تأملنا فيها وجدنا أنّ أفعال الحقّ و تصرفاته فيهم معلّل بالشرور التي في أنفسهم و مترتب على فسوقهم و كفرهم و طغيانهم: « وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ »<sup>١</sup> « وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ »<sup>٢</sup> « وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ »<sup>٣</sup>.

و قطع نوال الهداية عمّن اعرض عنها و تخليته و ضلالته لا ينافي عموم عدله سبحانه و شمول رحمته، فأرسال هذه النقمات و تلييسهم بأقسام ملابس الشقاء معلّل بأنفسهم؛ و أمّا إبليس و إغوائه للأشقياء فليس ذلك لتسلطه الذاتي عليهم، بل لتسليطهم إياه على أنفسهم باتباعهم إياه لغيهم في ذاتهم.

قال تعالى حكاية عن إبليس: « وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ \* قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ \* إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ »<sup>٤</sup>.

و قال تعالى أيضاً حكاية عنه لعنه الله فيما يخاطبهم به يوم القيامة: « وَ قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَ لَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخٍ إِيَّيْكُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »<sup>٥</sup> الآية.

فحمل إبليس أيضاً الذنب عليهم أنفسهم، و علّل العذاب بالظلم دون الاتباع و استجابة الدعوة، و كل ذلك إحالة الى الذات، و حكي سبحانه الاعتراف بذلك منهم أنفسهم و هم معذبون: « رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا »<sup>٦</sup>، و قال تعالى: « قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ »<sup>٧</sup>، الآية. فذات سعيدة و ذات شقية، و حيث رجع الشقاء الى الذات و هي و ان وقعت أفعالها في خارج عنها و انفعالاتها عن الخارج عنها لكن من المعلوم أنّ أفعالها و انفعالاتها و خاصّة ما يرجع الى باطنها منها لا يخرج عن نفسها و دائرة ذاتها، و قد قال تعالى

<sup>١</sup> - المائدة: ١٠٨.

<sup>٢</sup> البقرة: ٢٥٨.

<sup>٣</sup> - آل عمران: ١١٧.

<sup>٤</sup> - الحجر: ٣٩-٤٢.

<sup>٥</sup> - إبراهيم: ٢٢.

<sup>٦</sup> - المؤمنون: ١٠٦.

<sup>٧</sup> - الاسراء: ٨٤.

: « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا »<sup>١</sup> ، و قال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ »<sup>٢</sup> ، و قال تعالى : « وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ »<sup>٣</sup> ، و قال تعالى : « وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ »<sup>٤</sup> ، الآية .

و اذا كان كذلك فكُلُّما قصدت فعلاً أو أرادت غاية لم يخرج ذلك عن نفسها، و انما قصدت صورة حسنة أو سيئة من صور نفسها، و هذه حقيقة . فالغاية كمال للفاعل، و الفعل من شؤونه و جهاته و أطواره، على ما بيّن في محله .

و إذا كان كذلك فهذه الصور السيئة التي تكتسبها الذات الشقية تزيد و تنمو و تتراكم عليها، حتى تعميها و تصمها و تقلب أفئدتهم، و تزين لهم كلما يصدّ عن سبيل الله، و يجعل الرجس على قلوبهم، و تجعلها مأوى للقرين من الشياطين، الى آخر ما أو عدهم الله سبحانه كل ذلك بسير ذواتهم في هذه الظلمات و تلبسها بملابسها . قال تعالى : « فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ »<sup>٥</sup> ، الآية . فهم بشقائهم الذاتي يسلكون سبيل النار : « وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا »<sup>٦</sup> ، الآية . و لا يزالون يقطعون مرحلة قد هيوهاً سابق أعمالهم بعد مرحلة ، حتى يحلّوا دار البوار جهنم يصلونها و بئس القرار . و يؤيّد ما مرّ طوائف من الأخبار .

منها : أخبار السعادة و الشقاوة ، ففي الأمالي مسنداً عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : « الشقيُّ من شقى في بطن أمه، و السعيد من سعد في بطن أمه »<sup>٧</sup> ، الخبر . و هو خير مستفيض رواه جمع بطرق مختلفة من الخاصّة و العامّة .

و في قرب الإسناد عن ابن عيسى ، عن البنزطي، عن الرضا عليه السلام في حديث : ثم قال : « إِنَّ النطفة تكون في الرحم ثلاثين يوماً ، و تكون علقة ثلاثين يوماً، و تكون مضغة ثلاثين يوماً، و تكون مخلقة و

<sup>١</sup> - فصلت : ٤٦ .

<sup>٢</sup> - يونس : ٢٣ .

<sup>٣</sup> - الانعام : ١٢٣ .

<sup>٤</sup> - البقرة : ٩ .

<sup>٥</sup> - الذاريات : ٥٩ .

<sup>٦</sup> - الجن : ١٧ .

<sup>٧</sup> - الأمالي : مجلس ٧٤ ص ٣٩٥ ح ١ .

غير مخلّقة ثلاثين يوماً، و إذا تمّت الأربعة أشهر بعث الله تبارك و تعالى إليها ملكين خلاقين، يصوّرانه، و يكتبان رزقه و أجله و شقيماً أو سعيداً<sup>١</sup> ، الخبر .  
و هذا المعنى وارد فى روايات أخر أيضاً .

و فى التوحيد و المحاسن مسنداً عن ابن حازم، عن أبى عبدالله عليه السلام قال : « إنّ الله عز و جل خلق السعادة و الشقاوة قبل أن يخلق خلقه ؛ فمن علمه الله سعيداً لم يبغضه أبداً، و إن عمل شراً أبغض عمله، و لم يبغضه ؛ و إن علمه شقيماً لم يحبه أبداً و ان عمل صالحاً أحب عمله و أبغضه لما يصير اليه فإذا أحب الله شيئاً لم يبغضه أبداً و إذا أبغض شيئاً لم يحبه أبداً »<sup>٢</sup> الخبر .

و فى البصائر مسنداً عن محمد بن عبدالله ، قال : سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام يقول : « خطب رسول الله الناس، ثمّ رفع يده اليمنى قابضاً على كفه، فقال : أتدرون ما فى كفى ؟ قالوا : الله و رسوله أعلم .

فقال : فيها أسماء أهل الجنّة و أسماء آبائهم و قبائلهم الى يوم القيامة . ثم رفع يده اليسرى فقال : أيها الناس أتدرون ما فى يدي ؟ قالوا : الله و رسوله أعلم .

فقال : أسماء أهل النار و أسماء آبائهم و قبائلهم الى يوم القيامة .

ثم قال : حكم الله و عدل، و حكم الله و عدل، فريق فى الجنّة و فريق فى السعير »<sup>٣</sup> ، الخبر . و روى هذا المعنى فى المحاسن<sup>٤</sup> أيضاً .

و منها : ما يدلّ على أنّ العود الى ما كان منه البدو ؛ ففى العلل مسنداً عن أبى اسحاق الليثى عن الباقر عليه السلام فى حديث طويل : « ثمّ قال : أخبرنى يا ابراهيم عن الشمس إذا طلعت و بدأ شعاعها فى البلدان، أهو بائن من القرص ؟ قلت : فى حال طلوعه بائن .

قال : أليس إذا غابت الشمس اتّصل ذلك الشعاع بالقرص حتى يعود اليه ؟ قلت : نعم . قال : كذلك يعود كلّ شىء الى سنخه و جوهره و أصله »<sup>١</sup> ، الخبر .

<sup>١</sup> - قرب الاسناد : ص ١٥٤ و ١٥٥ ، بحار الانوار : ج ٥ ص ١٥٤ .

<sup>٢</sup> - التوحيد : ب ٥٨ ص ٣٥٧ ح ٥ ، و المحاسن : كتاب مصابيح الظلم ص ٢٧٩ ح ٤٠٥ .

<sup>٣</sup> - بصائر الدرجات : ج ٤ ص ١٩٢ ح ٤ .

<sup>٤</sup> - المحاسن : كتاب مصابيح الظلم ص ٢٨٠ ح ٤٠٩ .

و هذا المعنى مع التمثيل متكرّر في أحاديث الطينة، و فيه لطائف من المعانى .  
 و فى الأمالى و تفسير القمى فى حديث، قال « خلقهم حين خلقهم مؤمناً و كافراً و شقيماً و سعيداً، و  
 كذلك يعودون يوم القيامة مهتدياً و ضالاً ؛ الى أن قال : كما بدأكم تعودون، من خلقه الله شقيماً يوم خلقه  
 كذلك يعود اليه، و من خلقه سعيداً يوم خلقه كذلك يعود اليه سعيداً .  
 قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : الشقى من شقى فى بطن أمه، و السعيد من سعد فى بطن أمه »  
 ٢ ، الخبر .

أقول : و فى أوله اشارة الى قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ » ٣ .  
 و منها : أخبار الطينة، و هى أخبار كثيرة جداً، تدلّ على اختلاف ما فى مضامينها على أن سنخ السعداء و  
 الأشقياء و أصلهم الذى خلقوا منه و بدؤوا عنه - و هو المعبر عنه فيها بالطينة - مختلف ؛ فطينة السعداء  
 من عالم النور و الجنة و عليين و الأرض الطيبة و الماء العذب الفرات و مآل الجميع واحد كما سنشير اليه  
 ان شاء الله ؛ و طينة الأشقياء من عالم الظلمة و النار و سجّين و الأرض السبخة الخبيثة و الماء الأجاج، و  
 مآل الكل واحد ؛ و أن جميع ما يستقبلهم من أنواع السعادة و الشقاوة و الخير و الشرّ من حين أخذوا فى  
 السير عن موطنهم الأصلي الى أن يعودوا اليه و يحلّوا محلّهم من آثار الطينة التى منها خلقوا، و لن تجد  
 لسنة الله تبديلاً .

و هذا الذى تفيده هذه الروايات مستفادة من القرآن الكريم، قال تعالى : « كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى  
 وَ فَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ » ٤ ؛ فأخبر سبحانه أنّهم كما يعودون فريقين فقد بدؤوا فريقين .  
 ثم قال سبحانه : « كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ \* وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ \* كِتَابٌ مَرْقُومٌ \* وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ  
 لِلْمُكَذِّبِينَ » الى أن قال : « كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْنِ \* وَ مَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيْنُ \* كِتَابٌ مَرْقُومٌ \*  
 يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ \* إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ » ٥ الى آخر الآيات .  
 و قد قال تعالى : « كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا » ٦ ، الآية .

١ - علل الشرائع : ج ٢ ب ٦٠٩ ص ٣٧٣ ح ٨١ .

٢ - تفسير القمى : ج ١ ص ٢٢٦ فى تفسير آية ٢٩ من الاعراف، الامالى : مجلس ٧٤ ص ٣٩٥ ح ١ .

٣ - التغبان : ٢ .

٤ - الاعراف : ٢٩ و ٣٠ .

٥ - المطففين : ٧-٢٢ .

٦ - الجاثية : ٢٨ .

و قد بيّنا في «رسالة الوسائط» أنّ كتاب كلّ موجود إنّما هو سلسلة من أمور وجودية، هي ذاتية و تبعات ذاته و آثاره و لواحقه و أذنايه، و أنّه بنحو الاستنساخ من أصل ، حتى ينتهي الى الأصل الواحد، و هو أمّ الكتاب .

و إذا تأملت في هذه الآيات وجدت أنّ «عليين» و «سجّين» كتابان كليان فيهما كتاب الأبرار و الفجار، و أنّهما هي الجنّة و النار، و من هما طينتا البرّ و الفاجر .  
و قال تعالى : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ »<sup>١</sup> ، فأخبر بأنّ أعمال السعداء يصعد اليه و يرفعه، و أعمال الأشقياء تهلك و تبور .

ثمّ قال سبحانه : « وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ »<sup>٢</sup> ، الآية ؛ فأخبر بأنّ خلقهم و أطواره و مقاديرها محفوظ عنده مكتوب قبل وجودهم و برئهم .

ثم قال سبحانه : « وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ »<sup>٣</sup> ، الآية .

فبيّن سبحانه سبب اختلاف مجارى أفعال السعداء و الأشقياء، فأفعال أحد الفريقين يصعد اليه سبحانه و أفعال الآخر تهلك ؛ مع أنّهم جميعاً مخلوقون من تراب ثم من نطفة و هم أزواج، بأنّ الاشتراك في بعض الجهات العارضة و الفوائد المترتبة لا يوجب الاستواء بعد ما كانت الذوات مختلفة الأصول، فبعضها من البحر العذب، و بعضها من البحر المالح . و يستشتمّ هذا المعنى من قوله تعالى : « وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجوراً \* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً »<sup>٤</sup> ، الآيتان .

و قال تعالى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ \* لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ »<sup>٥</sup> .

<sup>١</sup> - فاطر : ١٠ .

<sup>٢</sup> - فاطر : ١١ .

<sup>٣</sup> - فاطر : ١٢ .

<sup>٤</sup> - الفرقان : ٥٣ و ٥٤ .

<sup>٥</sup> - الانفال : ٣٦ و ٣٧ .



فأخبر سبحانه بأنّ المشتركات من الأفعال التي يوجد في جميع الموارد، كما ذكره فيما سبق من الآيات، تتميز و تجمع كل الى ما يشاكله و يلحق بأصله بعد ما خلطت و مزجت في هذه الدنيا . و قد قال تعالى : « الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ »<sup>١</sup> .

ثم قال تعالى حكاية عن أهل الجنة : « وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ »<sup>٢</sup> الآية ؛ و قال سبحانه : « وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ »<sup>٣</sup> الآية ؛ فأخبر بأنه يورثهم أرضاً و مساكن طيبة هي الجنة .

و قال سبحانه : « وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ \* وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ »<sup>٤</sup> .

فأخبر بأنّ التفاوت العظيم الذي بين ثمرات السعادة و الشقاوة في خلال تصريفاتهم الى الأحياء و المحشر يرجع الى تفاوت الأراضي التي منها تكوّنوا و عليها أحيوا و عاشوا و ارتزقوا ؛ فمن أرض طيبة يطلع منها كلّ الثمرات بماء رحمته سبحانه، و من أرض خبيثة سبخة لا يخرج إلّا نكداً عديم النفع ؛ فارجع الأمر الى الطينة بالآخرة . و قد قال سبحانه : « إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ »<sup>٥</sup> و قال : « إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ »<sup>٦</sup> و قال سبحانه : « مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى »<sup>٧</sup> فتأمل فيما قدّمناه، و تدبّر في جهات الكلام و خصوصيات القول .

و اعلم أنّ كلامه سبحانه واحد و ما يبدلّ القول لديه، و هو يقول الحقّ، و يهدى السبيل . فعلى هذا الأصل الواحد ندور و نجرى، و الحمد لله .

و في العلل مسنداً عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام و معي رجل من أصحابنا، فقلت : جعلت فداك يابن رسول الله إنّى لأغتمّ و أحزن من غير أن أعرف لذلك سبباً .

<sup>١</sup> - النور : ٢٦ .

<sup>٢</sup> - الزمر : ٧٤ .

<sup>٣</sup> - التوبة : ٧٢ .

<sup>٤</sup> - الاعراف : ٥٧ و ٥٨ .

<sup>٥</sup> - الصافات : ١١ .

<sup>٦</sup> - ص : ٧١ .

<sup>٧</sup> - طه : ٥٥ .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : « إنَّ ذلك الحزن و الفرح يصل اليكم منّا، لأننا إذا دخل علينا حزن أو سرور كان ذلك داخلاً عليكم، و لأننا و إياكم من نور الله عزّوجلّ، فجعلنا و طينتنا و طينتكم واحده ولو تذكت طينتكم كما اخذت لكننا و أنتم سواء ولكن مزجت طينتكم بطينة أعدائكم، فلولا ذلك ما أذنبتم ذنباً أبداً . قال : قلت : جعلت فداك أفتعود طينتنا و نورنا كما بدأ ؟ فقال : أى و الله يا عبدالله ! أخبرنى عن هذا الشعاع الزاخر من القرص إذا طلع، أهو متصل به أو بائن عنه ؟

فقلت : جعلت فداك بل هو بائن منه .

فقال : أفليس إذا غابت الشمس و سقط القرص عاد اليه، فاتصل به كما بدأ منه ؟ فقلت له : نعم .

فقال : كذلك و الله شيعتنا من نور الله خلّقوا، و إليه يعودون ؛ و الله إنكم لملحقون بنا يوم القيامة «<sup>١</sup> ، الخبر .

و فى أمالى الشيخ مسنداً عن يحيى بن عبدالله بن الحسن، عن أبيه ، و عن جعفر بن محمد، عن أبيهما، عن جدّهما، قالاً : قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم : « إنَّ فى الفردوس لعيناً أحلى من الشهد، و ألين من الزبد، و أبرد من الثلج، و أطيب من المسك، فيها طينة خلّقنا الله عزّوجلّ منها، و خلق منها شيعتنا . فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منّا و لا من شيعتنا ؛ و هى الميثاق الذى أخذ الله عزّوجلّ عليه و لاية على بن أبى طالب عليه السلام » .

قال عبيد : فذكرت لمحمّد بن على بن الحسين بن على هذا الحديث ، فقال : صدقك يحيى بن عبدالله، هكذا أخبرنى أبى عن جدّى عن النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم<sup>٢</sup> .

و فى العلل عن زيد الشحام عن أبى عبدالله عليه السلام، قال : إنَّ تبارك و تعالى خلّقنا من نور مبتدع، من نور سنخ ذلك النور فى طينة من أعلى عليين، و خلق قلوب شيعتنا ممّا خلق منه أبداننا، و خلق أبدانهم من طينة دون ذلك، فقلوبهم تهوى إلينا، لأنّها خلّقت ممّا خلّقنا منه . ثم قرأ : « كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفى عِلِّيِّينَ \* وَ مَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ \* كِتَابٌ مَرْقُومٌ \* يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ » و أنّ الله تبارك و تعالى خلق قلوب أعدائنا من طينة من سجّين و خلق أبدانهم من طينة من دون ذلك و خلق قلوب شيعتهم ممّا

<sup>١</sup> - علل الشرائع : ج ١ ب ٨٤ ص ٩٣ ح ٢ .

<sup>٢</sup> - الأمالى للشيخ الطوسى : ج ٢ ص ٢٦٩ ح ٦ مع اختلاف فى السند .

خلق منه أبدانهم، فقلوبهم تهوى إليهم . ثم قرأ : « كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ \* وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ \* كِتَابٌ مَرْقُومٌ \* وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ »<sup>١</sup> .

و في العلل مسنداً عن حبة العرنى، عن علي عليه السلام قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ، فَمِنْهُ السَّبَاخُ، وَ مِنْهُ الْمَلْحُ، وَ مِنْهُ الطَّيْبُ ؛ فَكَذَلِكَ فِي ذُرِّيَّتِهِ الصَّالِحِ وَ الطَّالِحِ »<sup>٢</sup> ، الخبر .  
أقول : و هذا المضمون و أمثاله يمكن أن ينزل على الارتباط الذي بين تركيب الأبدان و أمزجتها و بين الأخلاق و الأفعال، كما يؤيده ما في النهج من كلامه عليه السلام، و قد ذكر عنده اختلاف الناس، فقال عليه السلام : « أَمَّا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِيءَ طِينِهِمْ، وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فَلَاقَةَ مِنْ سَبِيحِ أَرْضٍ وَ عَذْبِهَا وَ حَزْنِ تَرَبَةِ وَ سَهْلِهَا ، فَهَمَّ عَلَى حَسَبِ قَرَبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارِبُونَ، وَ عَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ، فَتَمَّ الرُّوَاءُ نَاقِصَ الْعَقْلِ، وَ مَا ذَا الْقَامَةِ قَصِيرَ الْهَمَّةِ، وَ زَاكِيَ الْعَمَلِ قَبِيحَ الْمَنْظَرِ، وَ قَرِيبَ الْقَعْرِ بَعِيدَ السَّبْرِ، وَ مَعْرُوفَ الضَّرْبِيَّةِ مَنْكَرَ الْجَلِيْبِيَّةِ، وَ تَائِهَ الْعَقْلِ مَتَفَرِّقَ اللَّبِّ، وَ طَلِيْقَ اللِّسَانِ حَدِيدَ الْجَنَانِ »<sup>٣</sup> ، الخطبة .

و في المحاسن عن علي بن الحكم، عن أبان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث، فقال : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ قَالَ : كُنْ مَاءً عَذْبًا أَخْلَقَ مِنْكَ جَنَّتِي وَ أَهْلَ طَاعَتِي، وَ قَالَ : كُنْ مَاءً مَلْحًا أَجَاغَا أَخْلَقَ مِنْكَ نَارِي وَ أَهْلَ مَعْصِيَتِي ؛ ثُمَّ أَمْرُهُمَا فَامْتَزَجَا، فَمِنْ ذَلِكَ صَارَ يَلِدُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ، وَ يَلِدُ الْكَافِرُ مُؤْمِنًا ؛ ثُمَّ أَخَذَ طِينَ آدَمَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ فَعَرَكَهُ عَرَكًا شَدِيدًا، فَإِذَا هُمْ كَالذَّرِّ يَدْبُونَ . فَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ : إِلَى الْجَنَّةِ بِسَلَامٍ، وَ قَالَ لِأَصْحَابِ النَّارِ : إِلَى النَّارِ وَ لَا أَبَالِي »<sup>٤</sup> ، الخبر .  
فهذه أنموذجة من أخبار الطينة، و هي تشتمل على خمسة أنواع من البيان حسب ما أوردناه، كل واحد من هذه الأصناف مستفيض، و الكل واحد، كما عرفت .

و منها : أخبار الذرّ و الميثاق : و هي على كثرتها تبين أن الله سبحانه أخذ الميثاق بعد ما عرضه على السعيد و الشقى معاً، فأخذ إقرارهم على ربوبيته و حقيقة الحقّ و بطلان الباطل، كما يومئ إليه آيات من القرآن قال تعالى : « وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ

<sup>١</sup> - علل الشرائع : ج ١ ب ٩٦ ص ١١٧ ح ١٤ .

<sup>٢</sup> - علل الشرائع : ج ١ ب ٧٧ ص ٨٣ ح ٣ .

<sup>٣</sup> - نهج البلاغة : صبحي الصالح، الكلام ٢٤٣ ص ٣٥٤ و فيه : « و تائه القلب » .

<sup>٤</sup> - المحاسن : ص ٢٨٢ ح ٤١٢، بحار الانوار : ج ٥ ص ٢٥٢ .

قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ \* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ<sup>١</sup> ، الآيات .

بَيَّنَّ سبحانه أنه أخذ ذرية بنى آدم من ظهورهم، وأخذ منهم الإقرار على ربوبيته، و من المعلوم أن أباهم آدم غير معفو عن هذا الأمر، فهو معهم، فهو فى الحقيقة إسهاد له و لذريته جميعاً، فيكون قوله : « مِنْ بَنَى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ » المراد به آدم و ما يخرج من ظهره و ما يخرج من ظهر كل من ذريته الخارجة من ظهره تغليباً، و لذلك أطلق فيما يفسره من الأخبار أن الله أخرج من ظهر آدم ذريته الى يوم القيامة، و نكتة التغليب الإشارة الى اعتبار وساطة الناس بعضهم فى توليد بعض و عدم تأثير هذه الاختلافات فى تمام الحجّة عليهم و إقرارهم، إذ قالوا بلى شهدنا، فيكون كالتوطئة لقوله تعالى بعد : « أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ » فافهم .

ثمَّ إنَّ هذا الأخذ و الإسهاد لو كان موطنه هذه النشأة الدنيوية كان قوله : « قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا » حكاية عن لسان الحال، و يكون المراد من أخذ إيجادهم بالتوليد و التناسل، و إسهادهم على أنفسهم « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » إرائتهم أنفسهم بما يشتمل على الآيات الأنفسية التى تدلّ على وجود الحقّ و وحدانيته، فيترتب عليه اعترافهم بلسان الحال بتوحيده سبحانه، فيكون جملة المراد : إنَّ الله سبحانه خلق بنى آدم فى هذه الدنيا، و نشرهم فيها و أشهدهم على أنفسهم بإرادة آياتها و احتياجاتها الى ربّ مدبر، فاعترفت بهذه الآيات و دلالتها قلوبهم، و قالوا بلسان حالهم (بلى شهدنا) ؛ إلّا انّ سياق هذه الآيات يعطى أن هذا الأخذ العمومى و الإسهاد إنّما كان قطعاً لحجّتين يمكن أن يحتجّوا بهما يوم القيامة إذ (رأوا العذاب و تقطعت بهم الأسباب)، و هما (إنّا كنّا عن هذا غافلين)، أو أنا و ان لم نغفل لكن الذنب إنّما هو من آبائنا من قبل، و نحن إذ كنّا ذريّتهم تبعنا هم فى شركهم ، أفتهلكنا بفعل فعله هؤلاء المبطلون .

و يؤول المراد الى أن هذا الأخذ و الإسهاد إنّما هو لترتفع الغفلة نفسها، أو يبطل أثرها ، و ليبطل أثر التبعية بالولادة و ان يغفل التابع .

و من الواضح أن الغاية الثانية لا تترتب على هذا الأخذ و الإسهاد، فارتفاع الغفلة يقطع العذر كائناً ما كان، و لا قاطع غيره ؛ فإضافة غاية أخرى الى الأولى كائنة ما كانت توجب ردائة الكلام و سماجته، و حاشا كلامه سبحانه .

<sup>١</sup> - الاعراف : ١٧٢ و ١٧٣ .

و لو جعل قوله تعالى : « أَنْ تَقُولُوا ... » غاية لقوله تعالى : « وَأَشْهَدُهُمْ » و قوله : « أَوْ تَقُولُوا .. الى آخره » غاية لقوله : « وَإِذْ أَخَذَ .. الى آخره » يصير الكلام أردى و أسمح، إذ يصير المعنى : إن ربك أخذ ذرية بنى آدم من ظهورهم، و فكذلك بين الجميع، لئلا يقع بعضهم تحت تبعية بعض، لعدم انفصالهم عنهم فيقولوا يوم القيامة انّ الفاعلين للشرك إنّما هم آباؤنا فلماذا تعذبنا، هذا ، إذ لا آباء و لا ذرية بعد فرض عدم الانفصال .

فهذا الموطن لا يجوز أن يكون هو موطن الحياة الدنيا، بل الآية الشريفة « أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا » الآية ، تفيد أن هناك كان موطناً لولا تفكيك الذرية من آبائهم لاثرت التبعية المحضة، و لم يكن فعل الشرك إلّا فعلاً واحداً صادراً من آبائهم دون الذرية، حتى كانت الذرية تقول يوم القيامة : إنّنا كنا متصلين بآبائنا و موجودين بتبعتهم، و الشرك كان من فعلهم، فبماذا تستوجب عذابنا بعد إذ فصلتنا منهم و ميّزت وجودنا من وجودهم ؟

فأخبر سبحانه أنه فرق بينهم إذ ذاك لينقطع حجّتهم، و يكون قوله تعالى : « أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ »<sup>١</sup> ، الآية ، احتجاجاً بالغفلة عن الإشهاد الذي في هذا الموطن، فلا بدّ حينئذٍ : أن يكون حكمه بحيث لا يقبل التغيّر، أى راجعاً الى الذات و نحو الوجود، حتى تجرى على و تيرته و حسب اقتضائه الحياة الدنيوية التي أوجبت شقاوتهم فيها، فتكون هذه الغفلة ذاتية لهم عن ربوبيته سبحانه و شهادتهم شهادة ذاتية و إبصاراً وجودياً، و إسهادهم على أنفسهم إسهاداً ذاتياً عن حقيقة أنفسهم، و هى ليست إلّا باطلة الذات فى نفسها و قائمة الذات بالحقّ، و لهذا أردف سبحانه قوله : « وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ » بقوله : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » ، فوضع سبحانه كلمة الربّ، و هو المالك المدبّر، و لم يقل : قال ألسنت برّبكم لأنّ الكلامين - أعنى قوله : « وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ » و قوله : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » بمعنى واحد بالمعنى الذى ذكر، فعاد معنى الآيات - والله العالم - الى أنّ هناك موطناً غير موطن الدنيا، فرق فيها بين أشخاص الإنسان، و كثرهم بعد جمعهم و وحدتهم، و عرفّهم و أراهم نفسه بتعريفهم و إرائتهم أنفسهم، فشهدوه و اعترفوا بربوبيته، و لو لا ذلك لشمّلتهم الغفلة فى هذه الدنيا، و لم يوحّدوه فى هذه الدنيا، فافهم .

<sup>١</sup> - الأعراف : ١٧٢ .

لأنَّ من أسلم و وحَّد في ذلك الموطن لا سبيل له الى الشرك، و من أشرك هناك لم يجد بداً أن يشرك في هذه الدنيا، كما يشير اليه سبحانه بقوله تعالى <sup>١</sup> : « فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ » <sup>٢</sup> ، الآية ؛ و ما بعد هذه الآيات : « وَإِذْ أَخَذَ .. الى آخره » الى ستة آيات في سياق ما مرَّ من المعنى، و سادستها قوله تعالى : « وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ » <sup>٣</sup> ، الآية .

و في آخر الآية عطف الى أول الآيات و تحديد للغفلة بأنَّها انما يكون و تتحقَّق في تفقَّهات القلوب و مبصرات العيون و مسموعات الآذان، و أمَّا شهادة النفس لنفسها و لربِّها فلا يحتج بحجاب .

ثم إنَّ في الآيات « وَإِذْ أَخَذَ .. الى آخره » اشارة - كما علمت - الى أن هذا الموطن و إن أوجب منهم شهادة بالربوبية لكنَّه لم يخل مع ذلك عن موحد و مشرك، فقد انشعب عن هناك توحيد و شرك ؛ و في تعبيره عن المشركين بالمبطلين في آخر الآيات اشارة الى وجه انشعابهما، فالإبطال مع شهادة نفوسهم هو الموجب لشركهم مع توحيدهم <sup>٤</sup> ، و لذلك لعله سبحانه عبَّر عن هذين الأمرين بالطوع و الكره في قوله سبحانه : « وَلَهُ اسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ » <sup>٥</sup> الآية، و قوله تعالى : « ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ \* فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ » <sup>٦</sup> الآية.

و هذا الأخذ و الإشهاد هو الذي يعبر عنه سبحانه بالميثاق في قوله : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا \* لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ

<sup>١</sup> - و ذلك أن هذا التركيب لا يفيد مجرد النفي، بل يفيد معنى الانتظار و الترقب في قولنا « نصحت لفلان ينتهي عن الملاهي و ما كان ليقبل نصيحتي و قد اعتاد بها » ؛ فما تمخَّل صاحب

الكشَّاف من أن المعنى « فما كانوا ليؤمنوا بعد مجيء الرسل بما كذبوا به من قبل » على أنه يوجب تجوزاً آخر في قوله « كذبوا » في غير محله . ( منه رحمه الله )

<sup>٢</sup> - الاعراف : ١٠١ ، يونس : ٧٤ .

<sup>٣</sup> - الاعراف : ١٧٩ .

<sup>٤</sup> - و يستفاد هذا المعنى من قوله تعالى : « إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا » الآية، ذكر سبحانه أن الإنسان حمل أمانة لم يتحملها السماوات و غيرها، و ذلك أنه كان ظلوماً جهولاً ؛ ثم ذكر غاية هذا العرض و الحمل بقوله سبحانه : « لِيَذَّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْمُشْرِكَاتِ وَ يُتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا » الآية، قسم تعالى الإنسان في غاية هذا العرض الى قسمين : المنافق و المؤمن، إشعاراً بأن لا كافر هناك، لعموم الحمل، فلا رد، و هو الميثاق . و قوله : « وَ يُتُوبَ اللَّهُ .. الى آخره »، دليل على أن السعادة من الله و التوبة منه ؛ و قوله : « وَ كَانَ اللَّهُ .. الى آخره » في مقام تعليل العرض و أن المقضى له صفة الغفران و الرحمة، و أمَّا صفة التعذيب و الانتقام و نحوهما فبعرض المغفرة و الرحمة الخاصة، إذ ظهور النجاة في العالم يستدعى وجود هالكين و مستحقين فيهم النجاة، كما لا يخفى . وإذا تدبَّرت في هذه الآية و جدتها من آيات الشفاعة، و الله الهادي .

<sup>٥</sup> - آل عمران : ٨٣ .

<sup>٦</sup> - فصلت : ١١ و ١٢ .

صِدْقِهِمْ»<sup>١</sup> الآية . فذيل الآية يفيد أن أخذ الميثاق<sup>٢</sup> ليطلب الصدق عن الصادقين، فموطنه الدنيا دون الآخرة، فموطن الميثاق قبل الدنيا فافهم . و الآيات التي يستفاد منها هذا المعنى كثيرة، و قد فسرتها بذلك روايات مستفيضة كثيرة أو فوق حد الاستفاضة .

ففى تفسير القمى عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن عبدالله بن مسكان، عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله « وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ » . قلت: معاينة كان هذا ؟

قال : نعم، فثبتت المعرفة و نسوا الموقف و سيذكرونه ؛ و لو لا ذلك لم يدر أحد من خالقه و رازقه ؛ فمنهم من أقر بلسانه فى الدرّ و لم يؤمن بقلبه، فقال الله « فما كانوا لِيُؤْمِنُوا بما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ »<sup>٣</sup> الحديث .

أقول : و مضمون هذه الرواية مروية فى كتاب المحاسن<sup>٤</sup> و العلل<sup>٥</sup> و التوحيد<sup>٦</sup> و تفسير القمى<sup>٧</sup> و تفسير تفسير العياشى<sup>٨</sup> و غيرها بطرق و أسانيد كثيرة جداً .

و فى العلل مسنداً عن حبيب عن أبى عبدالله عليه السلام قال : « إن الله تعالى أخذ ميثاق العباد و هم أظلمة قبل الميعاد، فما تعارف من الأرواح ائتلف، و ما تناكر منها اختلف »<sup>٩</sup> .

و فى تفسير العياشى مسنداً عن عبدالله الجعفى، و فى العلل مسنداً عن عبدالله الجعفى و عقبه جميعاً عن أبى جعفر عليه السلام قال : « أن الله عزَّوجلَّ خلق الخلق فخلق من أحبِّ، و كان ما أحبَّ أن خلقه من طينة الجنة ؛ و خلق من أبغض، و كان ممَّا أبغض أن خلقه من طينة النار ؛ ثمَّ بعثهم فى الظلال .

قلت : و أى شىء الظلال ؟

<sup>١</sup> - الاحزاب : ٧ و ٨ .

<sup>٢</sup> - و لو المراد بهذه الغاية « يسأل .. الى آخره » هو السؤال يوم القيامة لكان المراد بالسؤال المحاسبة و الحساب ، لكن المفهوم من هذا النظم و التركيب هو الطلب دون المحاسبة، كما فى نظائره، يقال : « سألت الغنى عن غناه » و « سألت الجواد عن جوده » و « سألت الفقيه عن فقهه و الشاعر عن شعره » و نظائر ذلك ؛ و المفهوم فى كل ذلك هو الطلب دون الحساب، نعم لو كان النظم مثل قولنا : « يسأل الصادقين عن صدقهم فيما صرفوا » مثل « سألت الغنى عن غناه فيما أنفق » أفاد معنى الحساب ؛ و الوجه أن فرض الصدق فى المسؤول يجعل السؤال لغواً ركيكاً ؛ و يوضِّح لك ذلك أن ترجع الى التفاسير و تشاهد تمخلات المفسرين فى تفسى هذه الآية ( منه رحمه الله ) .

<sup>٣</sup> - تفسير القمى : ج ١ ص ٢٤٨ فى تفسير آية ١٠١ من سورة الاعراف .

<sup>٤</sup> - المحاسن : كتاب مصابيح الظلم ص ٢٤١ ح ٢٢٥ .

<sup>٥</sup> - علل الشرائع : باب ٩٧ علة المعرفة و الجمود ص ١٧ ح ١ .

<sup>٦</sup> - التوحيد : باب فطرة الله عزوجل الخلق على التوحيد ص ٣٣٠ ح ٩ .

<sup>٧</sup> - تفسير القمى : ج ١ ص ٢٤٧ سورة الاعراف .

<sup>٨</sup> - تفسير العياشى : سورة الاعراف ج ٢ ص ٣٩ ح ١٠٨ .

<sup>٩</sup> - علل الشرائع : ج ١ ب ٧٩ ص ٨٤ ح ١ .

فقال : ألم تر الى ظلّك في الشمس شيء و ليس بشيء ؟ ثمّ بعث منهم النبيين فدعوهم الى الإقرار بالله، و هو قوله عزّ وجلّ : « وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ » ؛ ثمّ دعوهم الى الإقرار بالنبيين، فأنكر بعض و أقرّ بعض ؛ ثمّ دعوهم الى ولايتنا، فأقرّ بها و الله من أحبّ و أنكرها من أبغض ؛ و هو قوله تعالى : « فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به مِنْ قَبْلُ »<sup>١</sup> الخبر .  
و هو أيضاً مستفيض المعنى، و الأصول السابقة تكفى في تفسيره، فلا نعيد .

### تنبيه

حيث إنّ بين الحسنات بعضها مع بعض ترتباً و سببية يتفرّع بذلك بعضها على بعض، و كذلك بين السيئات ؛ و النوعان من الأعمال كلاهما ينتهيان الى الذوات السعيدة و الشقية بنفسها، تعيّن هناك طريقان من الاستدلال على الجزاء و الثواب و العقاب ؛ و الطريقان معاً مستعملان في كلامه سبحانه كقوله تعالى : « فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به مِنْ قَبْلُ »<sup>٢</sup> الآية ، و قوله تعالى : « ذَلِكَمُ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءاً وَ غَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا »<sup>٣</sup> الآية ، كما أنّ الطريقين بعينهما مستعملان في كلام العقلاء في تعليل الأفعال حسنها و قبيحها .

## فصل ٧

### [ الكلام في الجبر والاختيار ]

قد عرفت أنّ النظام نظامان : نظام ثابت غير متغيّر الأجزاء، و نظام متبدّل متغيّر الأجزاء ؛ وأنّ وجود أحد النظامين لا يبطل وجود الآخر و لا يزاحمه ؛ فارتفع توهم أنّ سبق القضاء و القدر و وجوب تحقّق ما كتبه الله في اللوح المحفوظ المصون عن التغيّر و الانمحاء و وجوب انتهاء كلّ موجود الى ما يقتضيه سعاده أو شقاوته الذاتيتان ينافى صحّة التكليف و ترتّب الثوب و العقاب عليه ؛ إذ التكليف الحقيقي يحتاج الى اختيار حقيقي يصحّ معه الفعل و الترك جميعاً، و مع وجوب وجود الحوادث التي يبتدىء منه سبحانه و ينتهى الى الفعل و منها الفعل - و هي سلسلة متصلة واحدة مترتبة الأجزاء واجب وجود جميعها - لا

<sup>١</sup> - تفسير العياشي : سورة يونس ج ٢ ص ١٢٩ ح ٣٧ .

<sup>٢</sup> - الاعراف : ١٠، يونس : ٧٤ .

<sup>٣</sup> - الجاثية : ٣٥ .



يبقى للاختيار أثر بصحة ترتب الفعل أو الترك عليه و إمكانهما بالنسبة الى الفاعل، لوجوب وجود أحد الجانبين بالضرورة ، فلا بدّ من اختيار أحد الأمرين و نفي الآخر .

أحد هما : بطلان القدر، و هو تأثير سابق للحقّ في الأفعال، و أنّما يسبق الفعل منه سبحانه علم غير مؤثّر فيها، فالأفعال مخلوقة للعباد، و إنّ كانت الأسباب و القوى التي تولّدها مخلوقة له سبحانه ؛ و هو المصطلح عليه بالتفويض و عليه جماعة المعتزلة .

و ثانيهما : الالتزام بالقدر و القول ببطلان تأثير الاختيار و لغوية التكليف الحقيقي، و من لوازمه تصحيح التكليف بما لا يطاق و الجبر في الأفعال و نفي الحسن و القبح العقليين و نفي الأغراض و الغايات و أمثال ذلك ؛ و هذا هو المصطلح عليه بالجبر، و عليه المجبّرة، هذا . و قد عرفت أنّ لا منافاة بين المرحلتين، و أنّ القدر لا يزاحم الاختيار، فلكلّ و عاء .

و هؤلاء لم يستطيعوا أن يجمعوا بين المعارف الإلهية الحقيقية بين ما تقتضيه الأسباب الطبيعية المادية، مع أنّ مصحّح التكليف عند العقلاء من البشر هو وجود الاختيار و القدرة الفاعلية التي لا ريب فيه عندهم، للفرق الضروري بين حركة الصحيح و حركة المرتعش، و بين سكون الصحيح الأعضاء و سكون الفالج ؛ و مع ذلك لا ريب عندهم أنّ جميع الأسباب المتوقّفة عليها وجود الفعل إذا تمّت كان الفعل ضروريّ الوقوع .

و قد تبين فيما مرّ أنّ النظام نظامان : نظام ثابت ذو أجزاء ثابتة لا يتطرّق اليها التغيّر بوجه ما، و نظام مادّي متقومّ بالإمكان و القوّة و الاستعداد متغيّر متبدّل غير ثابت، و الانسان من جملة أجزائه، و نسبته الى أفعاله بصحة الفعل و الترك ، و هو الاختيار، يختارها بالحسن و القبح و الغايات و الأغراض، و يحتاج أفعاله الى تحققها الى ذلك ، و هو ظاهر . كما أنّ المواد باستعداد يمكن أن تصير الى هذه الغاية أو الى تلك الغاية، و

أنّما يتعيّن فيها و لها إحدى الغايتين بواسطة اكتناف نوع الاستعدادات الملائمة لتلك الغاية و إبطالها استعدادات الغاية الأخرى، و ربما تمّ أحد الجانبين فزاحمه جانب آخر بتضاده، و أبطله بقوّته ؛ و لا فرق بين الإنسان و بينها إلّا بالعلم ؛ فاختيار الانسان لأحد الجانبين بعد تمام سائر الأسباب بالعلم، من حيث هو ذو هذا الأثر أحد تلك المقتضيات . و أيّ فرق بين مبدأ الإحراق الذي في النار و بين مبدأ الفعل الذي في الانسان و هو الإرادة النائمة ؟ و أيّ فرق بين الحطب الذي يحرق بعد إشتعاله بالنار مثلاً، و بين الانسان الذي يضحك بالإرادة ؟ و مع ذلك لا يبطل نسبة الإنسان الى الفعل و الترك بإمكانهما له و صحّتهما،

ووهو الملاك في صحة التكليف وترتب الجزاء بالثواب والعقاب و هذا في غاية الوضوح ؛ و هذا لم نطلب في هذا الباب أكثر من هذا المقدار .

و اعلم أن هناك نظراً آخر يرتفع به موضوع هذه الأبحاث و المشاجرات، و هو نظر التوحيد الذي مرّ في هذه الرسائل ؛ فالأفعال كلّها له كما أن الأسماء و الذوات له سبحانه فلا فعل يملكه الفاعل غيره سبحانه حتى يتحقق موضوع لجبر أو تفويض ، فافهم .

## فصل ٨

### [ الشواهد الروائية ]

و النقل أيضاً يدلّ على ما مرّ، فقد روى عنهم عليهم السلام : « لا جبر و لا تفويض بل أمر بين أمرين » و هذا اللفظ وارد عنهم على حدّ الاستفاضة بطرق كثيرة <sup>١</sup> .

و في التوحيد مسنداً عن يونس، عن غير واحد، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام قالوا : « إنّ الله عزّوجلّ أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب، ثم يعذبهم عليها ؛ و الله أعزّ من أن يريد أمراً فلا يكون .

قال : فسئلاً عليهما السلام : هل بين الجبر و القدر منزلة ثالثة ؟

قالا : نعم، أوسع ممّا بين السماء و الأرض <sup>٢</sup> .

و في التوحيد مسنداً عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « الله تبارك و تعالّى أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقونه، و الله أعزّ من أن يكون في سلطانه ما لا يريد <sup>٣</sup> .

و مثله ما ورد عنهم عليهم السلام : « مساكين القدرية أرادوا أن يصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه <sup>٤</sup> » .

و في الطرائف : أن رجلاً سأل جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن القضاء و القدر ، فقال : « ما

استطعت أن تلوم العبد عليه فهو فعل العبد، و ما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل الله، يقول الله

<sup>١</sup> - راجع أصول الكافي : ج ١ ب ٥٣ ص ١٦٠، التوحيد : ب ٢٩ ص ٢٠٦ .

<sup>٢</sup> - التوحيد : ب ٥٩ ص ٣٦٠ ح ٣ .

<sup>٣</sup> - التوحيد : ب ٥٩ ص ٣٦٠ ح ٤ .

<sup>٤</sup> - الطرائف : حكايات من المجبرة و احتجاجات عليهم ص ٣٣٠ .

للعبد : لم عصيت ؟ لم فسقت ؟ لم شربت الخمر ؟ لم زنيت ؟ فهذا فعل العبد . و لا يقول له : لم مرضت ؟  
لم قصرت ؟ لم ابيضضت ؟ لم اسوددت ؟ لأنه من فعل الله تعالى «<sup>١</sup> .

و فى الطرائف أيضاً : روى أن الفضل بن سهل سأل الرضا عليه السلام بين يدي المأمون، فقال : يا أبا  
الحسن الخلق مجبورون ؟

فقال : الله أعدل من أن يجبر خلقه ثم يعذبهم .

قال : فمطلقون ؟

قال : الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله الى نفسه <sup>٢</sup> ، الخبر .

و الأخبار فى هذا الباب متواترة فى المعنى، و هى على كثرتها ترجع الى نوع البيانات التى أوردنا هذه  
الانموذجات منها، و أنت تشاهد منها أنهم عليهم السلام أوردوا فيها طريقين من البيان و الاستدلال :  
أحدهما : الاستدلال باقتضاء الأسماء الإلهية و صفاته كالرحم و العزة و الكرامة و العدل و القهر و كذلك  
بالقضاء و القدر .

و ثانيهما : الاستدلال بما يقتضيه العقل و سيرة العقلاء من الحسن و القبح و غير ذلك . و فى بعض  
الأخبار سكتوا عن البيان .

ففى التوحيد مسنداً عن مهزم قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : أخبرنى عمّا اختلف فيه من خلفت من  
موالينا .

قال : فقلت : فى الجبر و التفويض .

قال : فاسألنى ؟

قلت : أجبر الله العباد على المعاصى ؟

قال : الله أقهر لهم من ذلك .

قال : قلت : ففوض إليهم ؟

قال : الله أقدر عليهم من ذلك .

قلت : فأى شىء هذا أصلحك الله ؟

<sup>١</sup> - الطرائف : حكايات من المجبرة احتجاجات عليهم ص ٣٣٠ .

<sup>٢</sup> - المصدر السابق .

قال : فقلب يده مرتين أو ثلاثاً، ثم قال : لو أجبتك فيه لكفرت <sup>١</sup> ، الخبر . و ذلك منه عليه السلام إرفاقاً بحال الراوى، والله المعين .

## فصل ٩

### [ الكلام فى الإرادة والمشية ]

و أمّا سائر الأفعال التى نسبها الحق سبحانه الى نفسه، من المشية و الإرادة و الهداية و الإضلال و التمحيص و الاستدراج و الغضب و الأسف و نحو ذلك، فقد اتضح من تضاعيف ما مرّ سنخ الكلام فيها و فى تفسيرها . فهذه أفعال منتزعة من أنحاء وجودات الموجودات التى هى أفعاله و إفاضاته سبحانه ؛ فالموجود الصادر منه سبحانه حيث إنّه غير صادر بالاضطرار و الجهل و الغفلة تعالى عن ذلك يُنتزع منه أنّ هناك مشية و إرادة له سبحانه، و هو شىء وجوده و مراد خلقه . و الأمور التى يتفرّع عليها اهتداء جمع الى صراط السعادة يُنتزع منها هدايته سبحانه، أو ضلال آخرين عن الصراط يُنتزع منها الإضلال، لكن بمعنى لا يوجب عليه سبحانه النقص ؛ و وجود الأمر بعد الأمر بحيث يلائم اللاحق السابق و يُكمل السابق باللاحق ينتزع منه التوفيق ؛ أو بخلافه بحيث يعقم اللاحق أثراً يتوقّع من السابق ينتزع منه الخذلان ؛ و إيجاد الشىء أو إبقائه بحيث يلائم السعادة و ينتجها يُنتزع منه البركة . و الأمور التى يوجب تميّز الشقى عن السعيد و الخبيث عن الطيب يُنتزع منها التمحيص و الامتحان و نحو هما، لكن لا بمعنى يوجب عليه سبحانه الجهل، بل بمعنى اتمام الحجّة و إعلام الحكمة ؛ و الأمور التى يوجب تشدّد شقاوة الشقى و تكاملها من أنحاء النعمة بعد المعصية ينتزع منها الاستدراج و الكيد و نحوهما ؛ و البلايا التى تستتبعها المعاصى يُنتزع منها الغضب ؛ و الإصرار على الذنب و الطغيان يُنتزع عن موردها الأسف ؛ و فى كل ذلك إنّما يعتبر المعنى خالياً عن جهات النقص . و قد ذكرنا فى رسالة « الأسماء الحسنى » أنّ لأفعاله سبحانه انسلاکاً ما فى سلك صفاته الذاتية بنظر آخر برهانى غير هذا النظر .

## فصل ١٠

### [ الدلائل النقلية من الكتاب و السنة ]

<sup>١</sup> - التوحيد : ب ٥٩ ص ٣٦٣ ح ١١ .

وَأَمَّا الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي هَذِهِ الْمَعَانِي فَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى . أَمَّا الْمَشِيَّةُ فَهَنَّاكَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي أَنْ مَشِيَّةٌ سَبْحَانَهُ هِيَ الْغَالِبَةُ عَلَى مَشِيَّةٍ غَيْرِهِ، بَلْ أَنْ مَشِيَّتَهُمْ فِرْعَ مَشِيَّةٌ : قَالَ تَعَالَى : « وَ مَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ » ١ .

و فِي التَّوْحِيدِ مَسْنَدًا عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْقَمَّاطِ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : خَلَقَ اللَّهُ الْمَشِيَّةَ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشِيَّةِ ٢ .

و فِيهِ أَيْضًا مَسْنَدًا عَنْ أَبِي أُذَيْنَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : خَلَقَ اللَّهُ الْمَشِيَّةَ بِنَفْسِهَا، ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشِيَّةِ ٣ .

و فِيهِ أَيْضًا مَسْنَدًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : الْمَشِيَّةُ مَحْدَثَةٌ ٤ .

أَقُولُ : وَ الرِّوَايَاتُ فِي حَدُوثِ الْمَشِيَّةِ وَ أَنَّهَا مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ كَثِيرَةٌ .

وَ أَمَّا الْإِرَادَةُ فَكَثِيرُ الْوُرُودِ فِي الْقُرْآنِ، وَ ظَاهِرُ آيَاتِهِ كَوْنُهُ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ . قَالَ : وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ ... إِلَى آخِرِهِ ٥ وَ قَالَ : « أَنْمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا ... الْآيَةُ » ٦ . وَ أَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ .

وَ رَوَى الصَّدُوقُ فِي التَّوْحِيدِ وَ الْعِيُونَ مَسْنَدًا عَنْ صَفْوَانَ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِرَادَةِ مِنَ اللَّهِ وَ مِنَ الْخَلْقِ .

فَقَالَ : الْإِرَادَةُ مِنَ الْمَخْلُوقِ الضَّمِيرُ وَ مَا يَبْدُو لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْفِعْلِ، وَ أَمَّا مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فإِرَادَتُهُ إِحْدَاثُهُ لَا غَيْرَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَا يَرُودُ، وَ لَا يَهْمُ، وَ لَا يَتَفَكَّرُ، وَ هَذِهِ الصِّفَاتُ مَنْفِيَّةٌ عَنْهُ، وَ هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ، فإِرَادَةُ اللَّهِ هِيَ الْفِعْلُ لَا غَيْرَ ذَلِكَ، يَقُولُ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ، بَلَا لَفْظٍ وَ لَا نَطْقَ بِلِسَانٍ وَ لَا هَمَّةَ وَ لَا تَفَكَّرَ وَ لَا كَيْفَ لِذَلِكَ كَمَا أَنَّهُ بَلَا كَيْفٍ ٧ ، الْحَدِيثُ .

أَقُولُ : وَ الْأَخْبَارُ فِي كَوْنِ الْإِرَادَةِ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ مَسْتَفِيضَةٌ أَوْ مُتَوَاتِرَةٌ .

١ - الانسان : ٣٠ .

٢ - التوحيد : ب ٥٥ ص ٣٣٩ ح ٨ .

٣ - التوحيد : ب ١١ ص ١٤٧ ح ١٨ .

٤ - التوحيد : ب ١١ ص ١٤٨ ح ١٩ .

٥ - الاسراء : ١٦ .

٦ - يس : ٨٢ .

٧ - التوحيد : ب ١١ ص ١٤٧ ح ١٧، عيون أخبار الرضا عليه السلام : باب ١١ في الفرق بين ارادة من الله و من الخلق ج ١ ص ١١٩ ح ١١ .

و أمّا الكلام و الكلمة فهي المعنى التام من حيث يدلّ عليه باللفظ أو غيره من أسباب الألفهام كما عرفت، و لذلك ورد في القرآن بوجوه مختلفة، قال تعالى : « وَ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا »<sup>١</sup> و قال تعالى : « وَ تَكَلَّمْنَا أَيديهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ »<sup>٢</sup>، الآية .

و قال تعالى : « وَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ »<sup>٣</sup> .

و قال تعالى : « وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ »<sup>٤</sup> الى غير ذلك من الآيات .

و جملة الأمر أنّ الوجود المفاض من الحق سبحانه حيث يُنبىء عن خصوصيات صفات الحق المتوسّطة في إفاضته أو عن الغاية التي أرادها الحق سبحانه من إيجادها، فهو دالّ على المقصود و ما في الضمير، فهو كلمة دالّة أو كلام و حديث و قول و نحو ذلك ، و هو ظاهر . فكلّمة الله و كلامه هو الفعل و الإيجاد لا غير، و هو الوجود .

و في أمالي الشيخ مسنداً عن أبي بصير قال : سألت أبا عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام : لم يزل الله جلّ اسمه عالماً بذاته و لا معلوم، و لم يزل قادراً بذاته و لا مقدور .

قلت له : جعلت فداك، فلم يزل متكلماً ؟ قال : الكلام محدث، كان الله و ليس بمتكلم . ثم أحدث الكلام<sup>٥</sup> ؛ الحديث . و قد روى هذا المعنى في روايات أخر أيضاً .

و بالجملة فالأحاديث على كثرتها مصرّة في كون الإرادة و الكلام من أسماء الأفعال، و نفى كونهما من أسماء الذات ؛ و هذه الأحاديث و ان كانت لا تنفي إمكان تصحيح معنى للإرادة و الكلام يوجب رجوعهما الى الصفات الذاتية، كما اهتمّ به صدر المتألّهين قدّس سره و أقام البرهان على أنّ ما تصوّره من معنى حقيقة الإرادة و الكلام من صفات الذات .

لكن الانصاف أنّ ما أقامه من البرهان في مورد هاتين الصفتين الفعليتين جارٍ في بقية الصفات الفعلية، فلا وجه لتخصيص الكلام بالإرادة و الكلام بخصوصهما .

و قد مرّ في الفصول السابقة أنّ الصفات الفعلية يمكن أن تلاحظ بلحاظ يوجب حلولها محلّ الصفات الذاتية بوجه .

<sup>١</sup> - النساء : ١٦٤ .

<sup>٢</sup> - يس : ٦٥ .

<sup>٣</sup> - غافر : ٦ .

<sup>٤</sup> - النساء : ١٧١ .

<sup>٥</sup> - الأمالي : ب ٦ ص ١٧٠ ح ٣٤ .

و أمّا الرضا و الغضب و نحو ذلك، ففي التوحيد و الأمالي مسنداً عن محمد بن عمار، عن أبيه قال : سألت الصادق جعفر بن محمد فقلت له : يابن رسول الله أخبرني عن الله، هل له رضا و سخط ؟ فقال : نعم، و ليس ذلك على حدّ ما يوجد في المخلوقين، ولكن غضب الله عقابه و رضاه ثوابه <sup>١</sup> ، الخبر . و معناه مروى مستفيضاً .

و أمّا الهداية و الإضلال ففي المحاسن عن عبدالله بن هشام، عن سليمان قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : يا سليمان إنّ لك قلباً و مسامع، وإنّ الله إذا أراد يهدي عبداً فتح مسامع قلبه، و إذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه، فلا يصلح أبداً، و هو قول الله عزّوجلّ : « أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا » <sup>٢</sup> .

و أمّا الاخلاء و الاستدراج ففي الكافي مسنداً عن سماعة قال : « سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ « سَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ » قال عليه السلام : هو العبد يذنب الذنب فيجدد له النعمة معه تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب » <sup>٣</sup> ، الخبر . و هو مستفيض .

و الأحاديث في صفات الفعل كثيرة جداً، اقتصرنا على هذا المقدار منها إيثاراً للاختصار و جرياً على نحو الفصول السابقة .

#### تتمة

روى في التوحيد و المعاني عن الصادق عليه السلام في قول الله عزّوجلّ : « فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ » قال : إنّ الله عزّوجلّ لا يأسف كأسفنا، ولكنّه خلق أولياء لنفسه يأسفون و يرضون، و هم مخلوقون مدبرون ؛ فجعل رضا هم لنفسه رضى ، و سخطهم لنفسه سخطاً، و ذلك لأنّه جعلهم الدعاة اليه و الأدلاء عليه، و لذلك صاروا كذلك . و ليس أنّ ذلك يصل الى الله عزّوجلّ كما يصل الى خلقه، ولكن هذا معنى ما قال من ذلك ...

و قال أيضاً : من أهان لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة و دعانى إليها .

و قال أيضاً : مَنْ يُطِيعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ .

<sup>١</sup> - التوحيد : ب ٢٦ ص ١٧٠ ح ٤، الامالي : ب ٤٧ ص ٢٣٠ ح ٦ .

<sup>٢</sup> - المحاسن : ص ٢٠٠ ح ٣٥، بحار الانوار : ج ٥ ص ٢٠٣ .

<sup>٣</sup> - اصول الكافي : ج ٢ ب ٢٠٢ ص ٤٥٢ ح ٣ .

و قال أيضاً: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) و كلّ هذا وشبهه على ما ذكرت لك. وهكذا الرضا و الغضب و غير هذا من الأشياء ممّا يشاكل ذلك<sup>١</sup>، الخبر.

و هو من جوامع الأخبار يفيد ضابطاً كلياً فى نوع آخر من أفعال الله سبحانه، و هو أنّ كلّ فعل من كلّ فاعل إذا لم يلاحظ فاعله، لفناء فعله فى فعله سبحانه كأفعال الأنبياء و الأولياء المخلصين، و كذا إذا أُنسى عن بصر الإنسان فاعل فعل ولم يبق لفعله إلاّ الله سبحانه كما فى قضية موسى عليه السلام مع شجرة الطور. و بالجملة كلّ فعل لا فاعل له فهو فعل الله سبحانه. و هذا هو الذى يستنتج من الأصول السابقة فى أوّل الرسالة و ينحلّ به كثير من أمهات الإشكالات و فروعها، والله الهادى.

تمّ الكلام، و الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على محمّد و آله الطاهرين، فى العشر الأخير من شهر محرّم سنة ١٣٦١ هجرية قمرية، و تمّت الكتابة فى قرية شادآباد من أعمال تبريز.

<sup>١</sup> - التوحيد: ٢١ باب معنى رضاء عزّوجلّ وسخطه ص ١٦٨ ح ٢.



# رسالة الوسائط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، و الصلاة و السلام على أوليائه المقربين، سيّما محمّد و آله الطاهرين. هذا ملخّص الكلام في الوسائط الموجودة بين الله سبحانه و بين نشأة الطبيعة التي أوجدها الله سبحانه واحدة بعد واحدة، على ما يتحصّل بالبرهان، ويؤيّد الكشف، و يفهم من ظواهر التعاليم الدينية من الكتاب و السنّة؛ والله المعين.

## فصل ١

[أن في الوجود أربعة عوالم كليه]

قد ثبت في «رسالة التوحيد» أنّ الموجودات الخارجيّة الإمكانية جميعاً معاليلُ و مظاهرُ للوجود الواجبي الذي هو حقيقة صرفة؛ فهي جميعاً قائمة به؛ فهي موجودة في مرتبة صرافته، بنحو أعلى و أشرف، من غير شائبة من النقائص و الأعدام. و إذ كانت الحقيقة صرفة، فهذه الوجودات أسماءٌ لها، متميّزة مفهوماً، واحدة مصداقاً؛ و هذه هي الأسماء و الصفات. و ثبت أنّ الأسماء و الصفات مبادٍ في ثبوت الموجودات، على جهاتها المختلفة و حيثياتها المتشعبة.

هذا بالنسبة الى نسبة الأسماء مع ما دونها؛ و في مرتبتها أيضاً ترتّب ما على نسب المفاهيم؛ إذ من الضروري أنّ الخلق مثلاً فرع القدرة، و القدرة فرع العلم و الحياة، و هكذا. و من حيث إنّ الوجود الصرف الغير المحدود من جميع الجهات يرتفع عنه الصفات في حدّ نفسه وجوداً و عدماً، على ما تبين في «رسالة التوحيد»، والاتصاف تعيّن ما، فهذا المعنى أسبق بالنسبة الى سائر التعيّنات.

فتحقّق به أقدم التعيّنات - أعنى الأسماء - هو التعيّن بعدم التعيّن؛ و هو «مقام الأحديّة» باصطلاح العرفاء؛ ويليه بقية التعيّنات.

و تحقّق أيضاً أن لا فرق في ذلك بين الأسماء الذاتية و الأسماء الفعلية التي تُنتزع عن مقام الفعل؛ وان كان بين القسمين فرق في أنّ الاسم الذاتي موجود في مقام الذات قولاً مطلقاً، و الاسم الفعلي موجود على نحو وجود ما انتزع عنه؛ فليُفهم.

ثم نقول: إنَّ كلَّ موجود من الجواهر الطبيعية طبيعة ذات أفعال جزئية مستندة الى صورتها النوعية، وانفعالاتٍ جزئية مستندة الى مادتها، على ما برهن عليه في الأمور العامّة؛ كالإنسان الفرد الموجود خارجاً مثلاً ذا أفعالٍ إنسانية و انفعالاتٍ ماديةً بدنيّة.

فمن الضروري أنَّ الإنسان، و هو المطلق لا بقيد الاطلاق، موجود في الإنسان الفرد؛ و هو طبيعة إذا لو حظت في نفسها كانت كليّة مرسلّة، تصدق على كلِّ إنسان فرد مفروض، نسبتها الى جميع الأفعال والانفعالات الإنسانية على السواء.

و من الضروري أيضاً أنَّ الإنسان ذا الأفعال الإنسانية موجودٌ في الإنسان الفرد؛ و هو طبيعة إذا لو حظت كذلك، لم تعرضها الكليّة بل الجزئية؛ لكنّها خالية عن المادّة و انفعالاتها، غير أنَّ معها الأفعال الموجودة في الإنسان الفرد المادّي.

فإذا فرضنا موجوداً جوهرياً مادياً طبيعياً، تحقّق هناك جهات ثلاث: الوجود الجوهريّ مجرداً عن التقيّد بالمادّة و الأحكام التي عند المادّة، و الوجود الجوهريّ مجرداً عن المادّة دون الأحكام التي عند المادّة، و الوجود الجوهريّ المادّي. و هذه الثلاث هي التي تسمّيها الحكماء بالوجود المجرد، و الوجود المثاليّ، و الوجود المادّي.

ثمَّ إنَّ من الضروري أنَّ في مرتبة الوجود المثاليّ من الإنسان مثلاً جواز الاتصاف بالأفعال الصادرة عنه في مرتبة الوجود المادّي؛ وإلّا إمتنع الاتصاف بها هناك؛ فلتلك المرتبة نسبة ما مع تلك الأفعال. و حيث إنَّ المأخوذ هو الوجود و وجود النسبة، والنسبة غير مستقلّة بذاتها لا تتحقّق إلاّ بتحقّق الطرفين، فلتلك الأفعال وجود ما في مرتبة الوجود المثاليّ، كالعكس. و حيث إنَّ لمرتبة الوجود المثاليّ تقدماً في نفسه على مرتبة الأفعال بالضرورة، فيبينهما تقدماً و تأخراً بالوجود؛ فبين الوجود المثاليّ و مرتبة الأفعال ترتباً بحسب المرتبة، و عليّة و معلولية، و ظاهريّة و مظهرية؛ فهما مرتبتان من مراتب ظهور الوجود.

و بمثل البيان يظهر أنَّ مثل هذه النسبة بعينها موجودة بين الوجود المجرد و الوجود المثاليّ.

هذا كلّه في الأمور الموجودة في مرتبة الطبيعة، المختصّة بكلِّ نوع نوع؛ و مثل الكلام يجري في الأمور الموجودة في أزيد من نوع، أو في جميع الأنواع و الموجودات الطبيعية، فظهر أنَّ فوق مرتبة الطبيعة مرتبتين أخريين: مرتبة التجرد و مرتبة المثال.

فظهر من جميع ما مرَّ أنَّ في الوجود أربعة عوالم كليّة مترتبة بحسب قوّة الوجود، كلُّ على طبق الآخر:

الأول: عالم الأسماء والصفات، ويسمى «عالم اللاهوت».

الثاني: عالم التجرد التام، ويسمى «عالم العقل، والروح، والجبروت».

الثالث: عالم المثال، ويسمى «بعالم الخيال، والمثل المعلقة، والبرزخ، والملكوت».

الرابع: عالم الطبيعة، ويسمى «عالم الناسوت» و غير ذلك.

هذا وقد أقيم في العلم الإلهي براهين كثيرة على ما مرّ، عموماً و خصوصاً؛ وفيما أقمناه من البرهان كفاية للمتأمل، إن شاء الله.

## فصل ٢

### [في علم الاسماء و وساطة الأسماء الالهيه]

أمّا ما سمعت من كون الأسماء الإلهية وسائط في تنزل الوجود فمن الثابت في الكتاب و السنة. فإنك إذا تأملت و تدبّرت الكتاب الالهيه، وجدت أنّ الله سبحانه في آيات التوحيد يعلّل أسماءه الخاصّة بأسمائه العامّة: كما في سور الرعد، والحديد، والحشر، وغيرها، و آية السخرة: (أَنْ رَبَّكُمْ اللهُ...<sup>١</sup>)، و آية الكرسي<sup>٢</sup>، و آيات في القرآن كثيرة؛ و وجدت أنّه سبحانه عند بيان الخلق، و القيومة، و سائر أنحاء الإفاضة جميعاً، و كذا في مرحلة العود كالموت و البرزخ و الحشر و غير ذلك، يعلّل ذلك كلّه بأسماء مناسبة في المفهوم؛ و لعلك تظفر بذلك في أزيد من خمسمائة آية، حتّى أنّ ذلك موجود في مرحلة الاعتبار، كالتكليف. و إذا تأملت في روابط الأسماء و ما دونها اهتديت بخصوصيات الأسماء على الكثير من شؤون التنزلات، و كذا العكس. فتظفر بعلوم لانقدر قدرها، إن كنت ممّن آتاك اللهُ كَفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ جَعَلَ لَكَ نُوراً تَمْشَى بِهِ: و هذا - أعنى علم الأسماء - من مختصّات هذا الكتاب الإلهي؛ ولم نظفر فيما ينقل إلينا من الكتب السماوية على شيء من ذلك.

و كذلك السنة، فإنّ الأدعية الماثورة عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السلام، على كثرتها، مملوءة بالأسماء و الصفات؛ و قليل من الأدعية المفصّلة لا يوجد فيه: «اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي فَعَلْتَ بِهِ كَذَا»، و «أَسْأَلُكَ بِمَجْدِكَ الَّذِي فَعَلْتَ بِهِ كَذَا»، و «بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ»، و «بِأَسْمَائِكَ الَّتِي مَلَأْتَ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ» و أمثال ذلك.

<sup>١</sup> - الاعراف: ٥٤.

<sup>٢</sup> - البقرة: ٢٥٥.

وكذلك الأسئلة بالأسماء المناسبة، كالرّازق في طلب الرّزق، والغفور في طلب المغفرة، و نحو ذلك. بل هذا المعنى كالمفطور للإنسان؛ فلست ترى إنساناً يسأل الشفاء، فيدعو فيقول: «يا مميتُ يا منتقمُ! اشفِ هذا المريض»، بل أنما يقول: «يا رحمنُ يا رحيمُ يا رؤوفُ يا شافيُ يا معافي»، و ما يناسب ذلك. و إذا تتبعت مواردها متأملاً، وجدت أن هذا المعنى على بهائه و سنائه من ضروريات هذا الدّين المقدّس، غير أن الاشتغال عمّا يعنى بما لا يعنى، ربّما صرف الناس عن التحقّق به والفوز في مزاياه.

و من جوامع الأخبار في ذلك ما في الكافي و التوحيد، مسنداً عن إبراهيم بن عمر، عن الصادق عليه السلام قال: إن الله تبارك و تعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوّت<sup>١</sup>، وباللفظ غير مُنطق، و بالشخص غير مجسّد، وبالتشبيه غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفى عنه الأقطار، مبعّد عنه الحدود، محجوب عنه حس كل متوهم، مستتر غير مستور. فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً، ليس منها واحد قبل الآخر. فأظهر منها ثلاثة أشياء، لفاقة الخلق اليها، و حجب واحداً منها، و هو الاسم المكنون المخزون بهذه<sup>٢</sup> الاسماء الثلاثة التي أظهرت؛ فالظاهر هو الله و تبارك و سبحان<sup>٣</sup>. و سخر لكل اسم من هذه أربعة أركان؛ فذلك اثنا عشر ركناً. ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً، فعلاً منسوباً اليها. فهو الرّحمن، الرّحيم، الملك، القدّوس، الخالق، الباري، المصور، الحّي، القيّوم، لا تأخذه سنة و لانوم، العليم، الخبير، السّميع، البصير، العزيز، الجبّار، المتكبر، العليّ، العظيم، المقتر، القادر، السّلام، المؤمن، المهيمن الباري المنشىء، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرّازق، المحيي، المميت، الباعث، الوارث. فهذه الأسماء و ما كان من الأسماء الحسنی، حتّى تتم ثلاثمائة و ستين اسماً، فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، و هذه الأسماء الثلاثة أركان و حجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة و ذلك قوله عزّوجلّ: <sup>٤</sup> (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى).<sup>٥</sup>

و هذا الخبر الشريف صريح في أن المراد بالاسم المخلوق غير اللفظ، و أنه مجرد، لا جسمانيّ و لامثاليّ. و يظهر منه أن المراد بالاسم الواحد المخزون هو «مقام الأحديّة»؛ إذ هو المحجوب بهذه الأسماء الثلاثة التي هي «الله، و تبارك و سبحان»؛ و هي الهويّة و الجمال و الجلال؛ إذ الخلق محتاجون في تحقّق

<sup>١</sup> - هكذا في الكافي، و في التوحيد: «خلق اسماً بالحروف، و هو عزّ وجلّ بالحروف غير متعوت».

<sup>٢</sup> - هكذا في التوحيد؛ و في الكافي: «فهذه الأسماء...».

<sup>٣</sup> - هكذا في البحار و بعض نسخ التوحيد؛ و في الكافي و بعض نسخ التوحيد الاخرى: «فالظاهر هو الله تبارك و تعالى...».

<sup>٤</sup> - الاسراء: ١١٠.

<sup>٥</sup> الكافي: ج ١ ص ٣٨ ح ١١٢ ح ١، التوحيد: ب ٢٩ ص ١٩٠ ح ٣.

إعيانهم ولوازمها الى هذه الجهات الثلاثة، من الهوية و صفات الثبوت و صفات السلب. و أمّا إذا لوحظ الخلق بالنسبة الى «مقام الأحدىّة»، ففيه ارتفاع موضوعهم، كما لا يخفى.

ثمّ انظر الى قوله عليه السلام: «ثمّ خلق لكلّ ركن منها ثلاثين اسماً، فعلاً منسوباً اليها»، أى الى الأسماء، حيث ذكر أنّ الخلق لله، و للفعل نسبة اليها، و هذه هي الوساطة و الظهور.

و قال فى آخر الخبر: «فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة... الى آخره» و هذه هو الترتب و الوساطة بين الأسماء أنفسها.

و قوله عليه السلام: «فأظهر منها ثلاثة أشياء لفاقة الخلق اليها»، إشارة الى وساطة الأسماء بالنسبة الى مادونها.

و من ذلك ما فى التوحيد مسنداً عن عبد الملك بن عنترة الشيبانى قال: جاء رجل الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنى عن القدر.

فقال: بحرٌ عميقٌ فلا تَلَجُهْ.

فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنى عن القدر.

فقال: طريقٌ مظلمٌ فلا تسلكهْ.

فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنى عن القدر.

فقال: سرُّ الله فلا تتكلّفه.

فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنى عن القدر.

قال: فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا إذا أبيت فإنى سائلك، أخبرنى أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد، أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله؟

قال: فقال له الرّجل: بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قوموا، فسلّموا على أخيكم؛ فقد أسلم و قد كان كافراً.

قال: وانطلق الرّجل غير بعيد، ثمّ انصرف اليه، فقال له: يا أمير المؤمنين! أبالمشيئة الأولى نقوم و نقعد و نقبض و نبسط؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: وإنك لبعُدُ فى المشيئة. أمّا إننى سائلك عن ثلاث، لا يجعل الله لك فى شىء منها مخرجاً: أخبرنى أخلق الله العباد كما شاء أو كما شاءوا؟

فقال: كما شاء.

قال: فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاؤوا؟

فقال: لما شاء.

قال: يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤوا؟

قال: يأتونه كما شاء

قال: قم فليس اليك من المشيئة شيء<sup>١</sup>، الخبر.

فقد أثبت صلوات الله عليه القدر، وهو تأثير ما للحق سبحانه في نظام الموجودات، بسبق الرحمة على الأعمال، أى تقدّم الصفة على النظام. فلخصوصيات الصفات اقتضات في خصوصيات النظام؛ ولولا ذلك لكانت الصفات متأخرة عن الموجودات و باقتضائها، فيكون الموجود الخارجى سابقاً على الصفة الإلهية. ثم أكد عليه السلام هذا المعنى و شيّده في آخر الخبر بأن المشيئة الإلهية غالبية على كل حال، و غايته حاصلة على أى تقدير، و أنّ الإرادة لا تتخلف عن المراد، و المغيبي واقع على طبق الغاية لا محالة. وهذا- أعنى عدم التخلف - إنّما هو فى الروابط العامة الإلهية؛ و أمّا الخاصة، كالرحمة الخاصة و الرزق الخاصّ و نحو ذلك، فربّما تتخلف إذا نسبت الى كل الموجودات، فافهم.

والى هذا يمكن أن يشير ما فى علل الشرائع مسنداً عن جميل، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قوله الله (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)<sup>٢</sup>. قال: خلقهم للعبادة.

قلت: خاصة أم عامة؟

قال: لا بل عامة<sup>٣</sup>، الخبر.

واعلم أنّ آخر الخبر الشريف من شواهد ما مرّ فى آخر الفصل السابق. إنّ صفات الفعل متقدّمة على الموجودات، لها وجود ما فى مرتبة الأسماء الذاتية، و إلاّ لم يكن الاتصاف بالحقيقة، على ما لا يخفى. هذا إجمال ما يدلّ على وساطة الأسماء و الصفات بينه تعالى و بين الموجودات، و الأخبار فيه كثيرة.

### [دلالة القرآن على وجود عالمي المثال و التجرد التام]

<sup>١</sup> - التوحيد: ب ٦٠ ص ٣٦٥ ح ٣.

<sup>٢</sup> - الذاريات: ٥٦.

<sup>٣</sup> - علل الشرائع: ب ٩ ص ١٤ ح ١٢

و أمّا ما يدلّ على وجود العالمين المتوسطين - أعنى عالم التجرد التام و عالم المثال - فأشياء كثيرة من الكتاب والسنة، غير أنّ مورد كثير منها العود - أعنى أخبار البرزخ و ما بعده - و هي من شواهد ما قصدنا إثباته باعتبار تطابق المبدأ و المعاد.

و ممّا يدلّ على ذلك قوله تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) <sup>١</sup> الآية تدلّ بعمومها على أنّ لجميع موجودات عالمنا هذا وجودات مخزونة عنده تعالى ذات سعة، غير محدودة و لا مقدّرة. إذا ظاهرها أنّ التقدير أنّما يحدث مع التنزيل و ليس التنزيل بالتجافى و تخلية المحلّ بالنزول، لقوله تعالى: (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) <sup>٢</sup> الآية. و هذه الآية إذا ضمتّ الى قوله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) <sup>٣</sup> و قوله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) <sup>٤</sup> الآيات، أفادت أنّ ما عند الله وجه له سبحانه. ثمّ قوله تعالى: (وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) <sup>٥</sup> الآية، تفيد أنّ الله سبحانه فى كلّ شىء وجهاً.

و بعبارة أخرى: إنّ فى كلّ شىء وجهاً إلهياً و وجهاً كونياً خلقياً؛ و هذا الوجه حيث إنّه بمقدار فهو محدود مثالى. و قد أفاد قوله تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا) <sup>٦</sup> وجهاً آخر غير محدود و لا مقدّر. فتبيّن أنّ لعالمنا هذا وجهاً إلهياً مقداريّاً باقياً قبله، و هو عالم المثال؛ و وجهاً إلهياً مجرداً عن المقادير باقياً، و هو عالم العقل و التجرد.

و إنّ العوالم الثلاث متطابقة غير متفاوتة إلاّ بالشرف و الخسة. قال تعالى: (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) <sup>٧</sup>، و قال تعالى: (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) <sup>٨</sup> الآية.

و تبيّن أيضاً أنّ الخلقة بنحو التنزّل، من غير تجافٍ و يؤيّد هذه المعانى آيات كثيرة فى القرآن الكريم.

[دلالة الروايات على وجود عالمي المثال و التجرد التام]

<sup>١</sup> - الحجر: ٢١.

<sup>٢</sup> - النحل: ٩٦.

<sup>٣</sup> - القصص: ٨٨.

<sup>٤</sup> - الرحمن: ٢٦ و ٢٧.

<sup>٥</sup> - الرعد: ٨.

<sup>٦</sup> - الحجر: ٢١.

<sup>٧</sup> - الاعراف: ٢٩.

<sup>٨</sup> - العنكبوت: ٦٤.

و مما يدل على ذلك جملة أخبار الطينة، و أخبار السعادة و الشقاوة، و أخبار الذرّ و الميثاق، و أخبار جنّة آدم عليه السلام.

### [سبق خلق المعصومين عليهم السلام على غيرهم]

ففى البحار نقلاً عن كتاب تأويل الآيات الظاهرة مسنداً عن أبى حمزة الثمالى، عن أبى جعفر عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أحدٌ، واحدٌ، تفرّد فى وحدانيته؛ ثمّ تكلم بكلمة، فصارت نوراً؛ ثمّ خلق من ذلك النور محمّداً، و خلقنى و ذريّتى؛ ثمّ تكلم بكلمة، فصارت روحاً، فأسكنه الله فى ذلك النور، وأسكنه فى أبداننا. فنحن روحُ الله و كلمته، و بنا احتجب عن خلقه. فما زلنا فى ظلّة خضراء، حيث لا شمس، ولا قمر، ولا ليل، ولا نهار، و لا عين تطرف؛ نعبده و نقدّسه و نمجّده و نسبّحه قبل أن يخلق الخلق<sup>١</sup>، الخبر.

وهذا المعنى، و هو سبق خلقهم عليهم السلام على كلّ خلق سابق و لاحق، مستفيض أو متواتر فى الأخبار، و لا يتمّ معناها إلاّ مع التجرد التام. ويؤيّدُها ويؤكدُها أخبارُ آخر فى الطينة و خلق الأرواح قبل الأجساد.

### [بعض الناس من طينة الجنة و بعضهم من طينة النار]

و منها ما فى العلل و تفسير العياشى مسنداً عن عبد الله الجعفى و عقبه جميعاً عن أبى جعفر عليه السلام، قال: إن الله عزّوجلّ خلق الخلق، فخلق من أحبّ ممّا أحبّ؛ و كان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنّة. و خلق من أبغض ممّا أبغض؛ و كان ممّا أبغض أن خلقه من طينة النار. ثمّ بعثهم فى الظلال. قلت: و أىّ شيء الظلال؟

فقال: ألم تر الى ظلّك فى الشمس شيءٌ و ليس بشيءٍ. ثم بعث منهم النبيين؛ فدعوهم الى الإقرار بالله؛ و هو قوله عزّوجلّ: (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)<sup>٢</sup>. ثمّ دعوهم الى الإقرار بالنبيين؛ فأنكر بع و أقرّ بعض. ثمّ دعوهم الى ولايتنا؛ فأقربها والله من أحبّ، و أنكرها من أبغض؛ و هو قوله<sup>٣</sup>: (فما كانوا ليؤمّنوا بما كذّبوا به من قبل)<sup>٤</sup>، الحديث.

<sup>١</sup> - بحار الانوار: ج ٢٦ ص ٢٩١ ح ٥١.

<sup>٢</sup> - الزخرف: ٨٧.

<sup>٣</sup> - يونس: ٧٤.

<sup>٤</sup> - علل الشرائع: ج ١ ب ٩٧ ص ١١٨ ح ٣، تفسير العياشى: سورة يونس ج ٢ ص ١٢٩ ح ٣٧.



## [عالم الذرّ]

و ما فى تفسير القمى مسنداً عن ابن مسكان عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ) .

قلت: معاينةً كان هذا؟

قال: نعم؛ فثبتت المعرفة، و نسوا الموقف، و سيذكرونه. ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه و رازقه. فمنهم من أقرّ بلسانه و لم يؤمن بقلبه، فقال الله<sup>٢</sup>: (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ)<sup>٣</sup>

و نحوه فى تفسير العياشى عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنى آدَمَ - الى - أَنْفُسِهِمْ)<sup>٤</sup> قال: أخرج الله من ظهر آدم ذرّيته الى يوم القيامة، فخرجوا كالذرّ. فعرفهم نفسه، و أراهم نفسه. ولولا ذلك ما عرف أحد ربّه؛ و هو قوله<sup>٥</sup>: (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)<sup>٦</sup>، الحديث.

وهذا المعنى مروى فى المحاسن و كتب الصدوق و غيرها. و من الضرورى بعد تسلّم الاخبار، أنّ هذا الموقف لم يكن فى نشأة العلم الربوبى، بل بعد ثبوت الخلق، و أنّه كان قبل نشأة الطبيعة، إذ نشأة كل واحد منّا الطبيعية مشاهدة بالعيان معلومة، و قد صرح عزّوجلّ فى الآية بأنّ هذا البعث و الأخذ متعلّق بظهور بنى آدم لا آدم فقط؛ و يشهد لذلك تفسيره عليه السلام «الظلال» بما عرفت، مع إثباته المعاينة، و من المعلوم أنّ المعاينة لا تتحقّق إلاّ مع الانقطاع عمّا سواه، و هذا فى غير نشأة الطبيعة لبنى آدم.

وكذا استشهاده عليه السلام فى خبر زرارة بقوله تعالى: (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) و كذا تفسير آية: (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا...) فى رواية ابن مسكان.

هذا و أنت ترى أنّه أثبت فى الروايات فى هذا الموقف أقرار و إنكار، و خير ما و شرّما؛ و عالم التجرد التامّ و النور البحت لا شرّ فيه فى جانب النزول البتّة؛ فهذا الموقف بعد عالم التجرد، و قد ثبت أنّه قبل نشأة الطبيعة فتعيّن أنّه عالم المثال، فليتأمل.

<sup>١</sup> - الاعراف: ١٧٢

<sup>٢</sup> - الاعراف: ١٠١، يونس: ٧٤

<sup>٣</sup> - تفسير القمى: ج ١ ص ٢٤٨.

<sup>٤</sup> - الاعراف: ١٧٢.

<sup>٥</sup> - لقمان: ٢٥.

<sup>٦</sup> - تفسير العياشى: ج ٢ ص ٤٠ ح ١١١.

## [جَنَّةُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ]

و منها ما فى تفسير القمى فى جنة آدم: «أنها كانت من جنان الدنيا التى تنتقل إليها أرواح المؤمنين بعد موتهم»<sup>١</sup>، الخبر، و ما فى أخبار أخر: من تفسر الشجرة المنهى عنها آدم و أنها كانت شجرة الولاية<sup>٢</sup> و غير ذلك.

---

<sup>١</sup> - تفسير القمى: سورة البقرة ج ١ ص ٤٣

<sup>٢</sup> - تفسير كنز الدقائق: سورة البقرة الآية ٣٥ ج ١ ص ٢٣٤.

### فصل ٣

[الحجب، القلم، اللوح، العرش، الكرسي و...]

هو كالحاتمة لما مرَّ. قد ثبت في الكتاب و السنة قبل نشأة الإنسان و الطبيعة أمور أخر، و هي الحجابات و القلم و اللوح و العرش و الكرسي و السماوات السبع و الملائكة و الشياطين. و المطلوب بعد ما مرَّ الكشف عن معانيها بحسب تفسير بعضها لبعض؛ فنقول:

[معنى الحجب و السراقات]

أمَّا الكلام في الحجب و السراقات، فاعلم أن الاخبار تكاثرت فيها؛ و في القرآن الكريم أيضاً شيء كثير يستفاد منه ذلك. قال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)؛<sup>١</sup> و قال تعالى: (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)<sup>٢</sup> الآية؛ يفيد أن الموجودات معلومة عنده غير غائبة عنه سبحانه؛ فلا حجاب يحجب الحق عن معلوماته؛ فالخلق غير محتجب عنه سبحانه بشيء.

و أمَّا حجابته تعالى - أي احتجابه عن خلقه - فقد قال تعالى: (فَلَا تُغْنِيكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْنُنْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ)<sup>٣</sup> و حياة كل أحد الدنيا وجوده الدنيوي بلواحقه؛ و غرورها بجعلها الإنسان مشغولاً بنفسها؛ و قد قال تعالى: (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ)<sup>٤</sup>؛ و قال سبحانه: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)<sup>٥</sup> الآيات. واللعب هو الاشتغال بفعل لغاية خيالة، لا حقيقة له في الخارج؛ و اللهو ما يصرف عن غيره، و يشغل اللاهوي بنفسه. فدل على أن الحياة الدنيوية و هو الوجود الدنيوي، إنما هو خيال يصرف الإنسان عن غيره؛ و هو الحقيقة التي هي الحياة الأخروية. و قد بين ذلك و أشير إليه في آيات كثيرة:

قال تعالى: ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ )<sup>٦</sup>.

و قال تعالى: ( وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ )<sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> - آل عمران : ٥.

<sup>٢</sup> - يونس: ٦١.

<sup>٣</sup> - لقمان: ٣٣.

<sup>٤</sup> - العنكبوت: ٦٤.

<sup>٥</sup> - آل عمران: ١٨٥.

<sup>٦</sup> - النور: ٣٩.

<sup>٧</sup> - النور: ٤٠.

و قال تعالى: ( وَ جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ )<sup>١</sup> الآية.  
 و أكثر المؤمنين و ان كانوا يشاركون هؤلاء فى المحجوبة عنه تعالى، إلا أنه تعالى و عدهم و عدلاً حسناً  
 بكشف الحجاب بالستر على ذنوبهم؛ فقال تعالى: (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ  
 بِمَغْفِرَةٍ وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ \* إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى) <sup>٢</sup>، الآية. فهذا هو الحجاب عن الله سبحانه؛ و هو نفس وجود  
 الانسان.

و قد عمم حكم هذا الحجاب بالنسبة الى سائر الأشياء فى قوله سبحانه: (لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ \* يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ  
 لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)<sup>٣</sup> الآية. فصدر الآية و ان كان فى الناس،  
 حيث حكم بالبروز فى هذا اليوم لله، و هم بارزون دائماً، و ليس ذلك إلا بظهور الأمر لهم بارتفاع الوسائط  
 بعد خفائه قبل هذا اليوم، كما حكى سبحانه ذلك عنهم بقوله: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ  
 رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَ سَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ)<sup>٤</sup>، الآية، إلا أن ذيل الآية: (لِمَنِ الْمُلْكُ... ) تعميم  
 تعميم لجميع الخلق، كقوله تعالى: (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ)<sup>٥</sup> و قوله: (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ  
 الْأَرْضِ)<sup>٦</sup>.

و قال تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ  
 شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)<sup>٧</sup>، الآية.

و بالجملة، فحكم الحشر جار على جميع الموجودات؛ و عنده ارتفاع الحجاب، و انتباه الجميع عن نومة  
 الغفلة بإثبات الملك لله وحده. و قال تعالى: (أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ \* أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ  
 مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ)<sup>٨</sup>. فأثبت الحجاب مع الحكم بعدمه. فقد تبين من جميع ذلك أن  
 نفس وجود الخلق حجاب لهم عن الحق سبحانه؛ فلا حجاب بينه و بينهم إلا أنفسهم. و هذا هو المتحصل  
 عن الأخبار.

<sup>١</sup> - يس: ٩.

<sup>٢</sup> - يس: ١١ و ١٢.

<sup>٣</sup> - غافر: ١٥ و ١٦.

<sup>٤</sup> - السجدة: ١٢.

<sup>٥</sup> - النور: ٤٢.

<sup>٦</sup> - لقمان: ٢٦.

<sup>٧</sup> - الانعام: ٣٨.

<sup>٨</sup> - فصلت: ٥٣ و ٥٤.

ففى الارشاد و الاحتجاج عن الشعبى، عن أمير المؤمنين عليه السلام فى كلام له: «إِنَّ اللَّهَ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يَحْجَبَ عَنْ شَيْءٍ أَوْ يَحْتَجِبَ عَنْهُ شَيْءٌ»<sup>١</sup>.

و مثله فى خطبة له عليه السلام: «لا حجاب بينه وبين خلقه»<sup>٢</sup> الخطبة.

وهذا يدل على أنه سبحانه مشهود لكل موجود، كما فى قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)<sup>٣</sup>، الآية.

وكما عن كتاب إثبات الوصيَّة للمسعودى، عن على عليه السلام فى خطبة له: «فسبحانك ملأت كلَّ شَيْءٍ، و با ينت كلَّ شَيْءٍ؛ فأنت لا يفقدك شَيْءٌ»<sup>٤</sup>، الخطبة.

و كما فى التوحيد مسنداً عن حماد بن عمرو النصيبى، قال: سألت جعفر ابن محمد عليهما السلام عن التوحيد؛ فقال: «واحد، صمد، أزلى، صمدى، لا ظلَّ له يمسه، و هو يمسك الأشياء باظلتها، عارف بالمجهول، معروف عند كلِّ جاهل»<sup>٥</sup>، الحديث.

و يظهر من هنا أن هذا الشهود يجمع الجهل أيضاً، كم يرى ولا يعرف.

ويدل عليه أيضاً ما فى العلل، مسنداً عن أبى حمزة الثمالى قال: قلت لعلى بن الحسين عليه السلام: لأى علَّة حجب الله عزَّوجلَّ الخلق عن نفسه؟ قال: «لأنَّ الله عزَّوجلَّ بناهم بنية على الجهل»<sup>٦</sup>، الحديث. وهذا يدل - زيادة على ما مرَّ - على أن هذا الجهل ذاتى، أى أن العلم ليس إلاَّ له و به سبحانه؛ فافهم. كما يشير اليه قوله سبحانه: (وَ لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ)<sup>٧</sup>.

و قريب مما مرَّ، الأخبار المستفيضة: كما فى التوحيد، مسنداً عن يعقوب ابن جعفر الجعفرى عن موسى بن جعفر عليهما السلام: «ليس بينه و بين خلقه حجاب غير خلقه؛ احتجب بغير حجاب محجوب؛ واستتر بغير ستر مستور؛ لا إله إلاَّ هو الكبير المتعال»<sup>٨</sup>، الحديث. و مثله عن النبىِّ و على و الرضا عليهم السلام.

<sup>١</sup> - الارشاد: ج ١ ب ٧١ ص ١٢٠ ح ٢. الاحتجاج: احتجاج امير المؤمنين عليه السلام فى التوحيد ص ٢١٠.

<sup>٢</sup> - البحار: ج ٤ ص ٣٠٥ ح ٣٤.

<sup>٣</sup> - فضلت: ٥٣.

<sup>٤</sup> - اثبات الوصيَّة: خطبة أمير المؤمنين عليه السلام ص ١٠٧.

<sup>٥</sup> - التوحيد: ب ٢ ص ٥٧ ح ١٥.

<sup>٦</sup> - علل الشرائع: ج ١ ب ٩٨ ص ١١٩ ح ٢.

<sup>٧</sup> - البقرة: ٢٥٥.

<sup>٨</sup> - التوحيد: ب ٢٨ ص ١٧٩ ح ١٢.

و من هنا يتبيّن أنّ الحجاب هو ذوات الأشياء بوجوداتها المستعارة، و أنّ الذوات حاجبة غير حاجبة، أى أنّ الشهود انما يتحقّق بالغفلة عن الذات.

و يظهر أيضاً أنّ كلّ حاجب للشىء عن الحقّ سبحانه فهو غير خارج عنه، بل داخل فى ذاته، أى من مراتب وجوده.

و هذا هو الذى يدلّ عليه الخبر المشهور المروى عن طرق العامّة: «إنّ الله تعالى سبعين ألف حجاب من نور أو ظلمة، لو كشفت لا احترقت سبحات وجهه ما دونه أو ما انتهى اليه بصره»<sup>١</sup>، الحديث. إذ الاحتراق و الإحراق هاهنا ليس من جنس إحراق النار و احتراق لحطب بتبديل الحطب بجنس النار و الترميد؛ و انما هو افناء الذات من حيث المشاهدة؛ كما فى خطبة الأشباح لعلّى عليه السلام بعد بيان تسييح الملائكة قال عليه السلام: «ووراء ذلك الرجيج الذى تستكّ منه الأسماعُ سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها، فتقف خاسئة على حدودها»<sup>٢</sup>، الخطبة.

و حيث إنّ هذا الاحتراق متعلّق بذات الشىء، فباحتراق مرتبة من مراتب الذات تبنى الذات، ويبقى وجه ربّك ذى الجلال و الإكرام.

و فى خبر المعراج المروى فى الكافى و تفسير العياشى، فيما سأله النبىّ ليلة المعراج جبرئيل عن البحار التى شاهدها فوق السماء السابعة، فقال - يعنى جبرئيل - : «هى سرادقات الحجب التى احتجب الله تبارك و تعالى بها: ولولا تلك الحجب لهتك نور العرش كلّ شىء»<sup>٣</sup>، الخبر.

و يظهر من هنا، من حيث نسبة الهتك الى الأشياء، و هو أنّما يحتقّق بالحجاب، مثل قوله: «ليس بينه و بين خلقه حجاب غير خلقه»، أنّ ذات كلّ شىء من جملة الحجب.

و يظهر أيضاً أنّ بعض الموجودات ربّما يحتجب عن بعض، كالعرش بالبحار؛ و يشهد له أيضاً ما فى خطبته عليه السلام لذّعلب: «حجب بعضها عن بعض ليعلم أنّ لا حجاب بينه و بين خلقه»<sup>٤</sup>، الخطبة، كما لا يخفى. لا يخفى.

<sup>١</sup> - بحار النوار: ج ٥٥ ص ٤٥ (فذلكت).

<sup>٢</sup> - نهج البلاغة: خطبة ٩١ ص ١٢٩.

<sup>٣</sup> - لم نعره عليه فى الكافى و تفسير العياشى و وجدناه فى تفسير القمى: ج ٢ ص ٣.

<sup>٤</sup> - التوحيد: ب ٤٣ ص ٣٠٩ ح ٢.

يظهر من خبر حدوث الأسماء المنقول سابقاً أنّ الاحتجاب موجود في مرحلة الأسماء و الصفات أيضاً، و أنّ بعض الأسماء يحتجب ببعض.

و في التوحيد، مسنداً عن الصادق عليه السلام قال: «الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، و نور العرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، و نور الحجاب<sup>١</sup> جزء من سبعين جزءاً من نور الستر»<sup>٢</sup>، الحديث. و في هذه الرواية إشارة ما الى التنزلات أيضاً. فظهر من جميع ما مرّ أنّ ذات كلّ شيء حجاب بالنسبة الى نفسه، و كذا الموجودات بعضها بالنسبة الى بعض، إذا كان من مراتب الذات داخلة في الذات. فكلّ مرتبة من الوجود - أعني ظهوره - حجاب بالنسبة الى ما دونها؛ و كذا نفس المرتبة بالنسبة الى نفسها. فالحجابات هي التعيينات الوجودية؛ فيتعدّد الحجابات في كلّ شيء بعدد المراتب التي يتقدّم بها ذاته، هذا.

واعلم أنّ الأخبار مختلفة اختلافاً فاحشاً في تعداد الحجب، و هذا هو الذي منعنا عن إيرادها و استقصاء ذكرها في هذه الرسالة، وان احتمل حملها على اختلاف اعتباراتها؛ كما هو كثير في موارد الروايات، ظاهر للمتتبع.

### [كلام في العرش و الكرسي]

وأما الكلام في العرش، فاعلم أنّ ثبوت العرش من ضروريات دين الإسلام، و قد تكرر ذكره في القرآن المجيد، و تواترت الأخبار من طرق العامّة و الخاصّة فيه.

أقول: إذا رجعنا الى ما عند العقلاء، وجدنا أنّ عرش الملك معتبر عندهم لمعنى ما؛ و هو أنّ الملك عندهم حيث أنّه إنسان بيده أزمّة مملكته المدنية، و قد اعتبروا في لوازم الحياة حال صاحبها، و الملك لاختصاصه بحفظ الأزمّة اعتبر لوازم حياة مختصّة به، و منها مجلسه. فاختصّ به العرش و هو مستقرّه، و محلّ صدور أحكامه و قضائه؛ و هذا هو حقيقة «العرش». و «الكرسي» أعمّ منه، يوجد لغير الملك، كما يوجد له، إلاّ أنّه مع ذلك مجلس فيه اختصاص ما.

و من هنا تعرف أنّ مفهوم هذا اللفظ يعطى أنّه موجود نسبته الى الموجودات مطلقاً أو عالم الأجسام فقط، نسبة عرش الملك الى المدنية؛ و نسبته الى الحقّ سبحانه نسبة عرش الملك الى الملك؛ فهو مرتبة من

<sup>١</sup> - هكذا في الاصل، و في التوحيد: «و العرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، و الحجاب...»

<sup>٢</sup> - التوحيد: ب ٨ ص ١٠٨ ح ٣.

الوجود هي مجلّي جميع صفات الحقّ سبحانه ممّا للموجودات اليه حاجة، كمستقرّ الملك. و هي محلّ صدور تفاصيل أحكام الموجودات، فهو ظاهر الوجود المنبسط الشامل للمجرّد و المثاليّ و المادّيّ. و الى هذا المعنى، و هو محلّية صدور الأحكام، يشير قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) <sup>١</sup> الآية. و قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا شَفِيعٍ) <sup>٢</sup>، الآية.

والآيات في نسق هاتين الآيتين كثيرة. وأردف الاستواء على العرش بالتدبير <sup>٣</sup> و نفى الولي و الشفيع غيره تعالى، و هو كالتفسير له. فالعرش يرتبط به نظام الوجود، بما أنّه نظام بين الموجودات. و يدلّ على ارتباط ذوات الموجودات أيضاً به و سبقه على هذا النظام قوله تعالى: (وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) <sup>٤</sup>، الآية. و في حديث القمّي: «و كان عرشه [على الماء]؛ و الماء على الهواء؛ و الهواء لا يحدّ؛ و لم يكن يومئذ خلق غيرهما؛ و الماء عذب فرات» <sup>٥</sup>، الحديث.

ثمّ من المعلوم أنّ الحاجة الى العرش في أمرين:

أحدهما: صدور الأحكام، و هو الذي تشتمل عليه الآيات السالفة.

والثاني: العلم بما يصدر منها، و تشتمل عليه آيات أخرى. قال تعالى: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) <sup>٦</sup>، الآية.

و حيث إنّ هذا النظام نازل من هناك و معلوم حاضر هناك، فهو هناك ثابت باقٍ و وجه إلهي، كما مرّ سالفاً. فهناك وجوه جميع الموجودات و وجوداتها الشريفة تفصيلاً، كما في قوله تعالى: (وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

<sup>١</sup> - يونس: ٣.

<sup>٢</sup> - السجدة: ٤.

<sup>٣</sup> - التدبير هو الاتيان بالأمر دبر الأمر، و بالنسبة عقيب الشيء. فتدبير الأمر منه سبحانه هو تفصيل امره و ايجاده. (منه رحمه الله).

<sup>٤</sup> - هود: ٧.

<sup>٥</sup> - تفسير القمّي: ج ٢ ص ٦٩ ذيل «كانتا رتقاً ففتقناهما».

<sup>٦</sup> - الحديد: ٤.



عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ<sup>١</sup> الآية. و حينئذٍ يعود اليه معنى قوله تعالى: (وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ)<sup>٢</sup>، الآية بوجه، و يتحد بوجه مع الكتاب المبين، وسيجيء الكلام فيه.

و الى تنميم هذه المعاني يشير قوله تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)<sup>٣</sup>، الآية، و قوله تعالى: (وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ)<sup>٤</sup>، الآية، و قوله تعالى: (وَ الْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ)<sup>٥</sup>، الآية.<sup>٦</sup>

ويشير الى ما مرَّ ما فى رواية حنان بن سدير من تفسير العرش العظيم بالملك العظيم<sup>٧</sup>.

و فى التوحيد أيضاً مسنداً عن سلمان الفارسي رضى الله عنه، فيما أجاب به على عليه السلام الجاثليق، فقال على عليه السلام: «إنَّ الملائكة تحمل العرش؛ و ليس العرش، كما تظنُّ، كهيئة السرير، ولكنَّه شىء محدود مخلوق مدبّر، و ربك مالكة؛ لا أنَّه عليه، ككون الشىء على الشىء»<sup>٨</sup> الخبر.

و حيث إنَّه شامل للموجودات ففيه تفاصيل وجوداتها، و اليه يشير ما فى كتاب روضة الواعظين عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، قال: «فى العرش تمثال ما خلق الله فى البرِّ و البحر. قال: و هذا تأويل قوله تعالى<sup>٩</sup>: (وَ إِن مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ)<sup>١٠</sup>».

و ما ورد فى تفسير دعاء «يا من أظهر الجميل و ستر القبيح»<sup>١١</sup>، الدعاء.

و حيث إنَّه منبسط على المجردّ و المادّي، فهو مجردّ، ففيه فعليّات جميع الموجودات الساقطة، حاضرة عند الحقّ سبحانه، و للحقّ سبحانه بتمام وجوداتها؛ فهو من مراتب العلم، فهو العلم الفعلى بالوجودات الذى يحصل فيه الموجودات.

<sup>١</sup> - الحجر: ٢١.

<sup>٢</sup> - الانعام: ٥٩.

<sup>٣</sup> - غافر: ٧.

<sup>٤</sup> - الزمر: ٧٥.

<sup>٥</sup> - الحاقة: ١٧.

<sup>٦</sup> - فان كلّ تفصيل لا يتمّ إلاّ باجمال سابق عليه، فالحملة هم حفظة الجمال؛ و من حول العرش و على ارجاء السّماء ملائكة يحفظون تفاصيل الامر. (منه رحمه الله).

<sup>٧</sup> - التوحيد: ب ٥٠ ص ٣٢١ ح ١.

<sup>٨</sup> - التوحيد: ب ٤٨ ص ٣١٦ ح ٣.

<sup>٩</sup> - الحجر: ٢١.

<sup>١٠</sup> - بحار الانوار: ج ٥٥ ص ٣٤ ح ٥٤.

<sup>١١</sup> - بحار الانوار: ج ٩٢ ص ١٦٤ ح ١٧.

و من هنا كان معظم الأخبار الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام يفسر العرش بالعلم؛ ففي الكافي مسنداً عن البرقي رفعه، قال: سألت الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن الله عز وجل، يحمل العرش، أو العرش يحمله؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله عز وجل حامل العرش و السماوات و الأرض و ما فيهما و ما بينهما؛ و ذلك قول الله عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)<sup>١</sup>.

قال: فأخبرني عن قوله: (وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ)<sup>٢</sup> فكيف ذاك؟<sup>٣</sup> و قلت: إنه يحمل العرش العرش و السماوات و الأرض؟!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن العرش خلقه الله تبارك و تعالى من أنوار أربعة: نور أحمر، منه احمرت الحمرة، و نور أخضر، منه اخضرت الخضرة، و نور أصفر، منه اصفرت الصفرة، و نور أبيض، منه ابيض البياض؛ و هو العلم الذي حمّله الله الحملة، و ذلك نور من نور عظمته<sup>٤</sup>.

فبعظمتته و نوره أبصر قلوب المؤمنين، و بعظمتته و نوره عاداه الجاهلون، و بعظمتته و نوره ابتغى من فى السماوات و الأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة، بالأعمال المختلفة و الأديان المتشعبة<sup>٥</sup>، فكل شيء محمول يحمله الله بنوره و عظمتته و قدرته، لا يستطيع لنفسه ضراً و لانفعاً و لا موتاً و لا حياة و لا نشوراً. فكل شيء محمول، و الله تبارك و تعالى الممسك لهما أن تزولا، و المحيط بهما من شيء، و هو حياة كل شيء، و نور كل شيء، سبحانه و تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

قال له: فأخبرني عن الله عز وجل، أين هو؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هو هاهنا و هاهنا و فوق و تحت و محيط بنا و معنا، و هو قوله: (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا)<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> - فاطر: ٤١.

<sup>٢</sup> - الحاقة: ١٧.

<sup>٣</sup> - فى الكافي: «فكيف قال ذلك».

<sup>٤</sup> - فى الكافي: «و ذلك نور من عظمتته».

<sup>٥</sup> - فى الكافي: «والاديان المشبهة».

<sup>٦</sup> - المجادلة: ٧.

فالكُرسى محيط بالسموات و الأرض (و ما بينهما و ما تحت الثرى، و ان تجهر بالقول فانه يعلم السرّ و أخفى)؛ و ذلك قوله تعالى: (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)¹. فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه، و ليس يخرج من هذه الأربعة شى خلق الله فى ملكوته، و هو الملكوت² الذى أراه الله أصفياه و أراه خليله فقال: (وَ كَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ)³ و كيف يحمل حملة العرش الله، و بحياته حييت قلوبهم، و بنوره اهتدوا الى معرفته؟!⁴ الخبر. و هو من غرر الأخبار.

و قد فسّر عليه السلام الحمل فى الرواية، و هو قيام ذوات الوجودات بالله سبحانه، بقوله عليه السلام: «لا يستطيع.... الى آخره»؛ و منه يظهر كيفية حمل الحملة العرش، و هو قيامه بالجملة بتحميله سبحانه آياه لهم. و قد اعتبر فى الرواية العرش و الكرسى واحداً، باعتبار كونهما من العلم؛ و لذا ورد حديث الحملة الأربع فى كلّ منهما.

ففى الخصال عن الصفار قال: قال الصادق عليه السلام: «إن حملة العرش ثمانية أحدهم على صورة ابن آدم، يسترزق الله لولد آدم؛ و الثانى على صورة الديك، يسترزق الله للطير؛ و الثالث على صورة الأسد، يسترزق الله للسباع؛ و الرابع على صورة الثور؛ يسترزق الله للبهائم. و نكس الثور رأسه منذ عبد بنو إسرائيل العجل؛ فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية»⁵، الخبر.

و الروايات فى هذا المعنى مستفيضة، و فى بعضها «النسر» مكان «الديك»؛ و لعلّ هذا المعنى من جهة اختلاف المشاهدة، كما هو معلوم عند أصحاب المشاهدة؛ و يشهد له قوله: «ونكس الثور... الى آخره»، فافهم.

و قد ورد مثله فى الكرسى أيضاً، ففى تفسير العياشى عن الأصبع قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ)⁶. فقال: «إنّ السماء و الأرض و ما فيهما من خلق مخلوق فى جوف الكرسى، و له أربعة أملاك يحملونه بإذن الله»⁷، الحديث.

¹ - البقرة: ٢٥٥.

² - ليس فى الكافى عبارة «هو الملكوت».

³ - الانعام: ٧٥.

⁴ - الكافى: ج ١ ب ٤٣ ص ١٢٩ ح ١.

⁵ - الخصال: ب ٨ ص ٤٠٧ ح ٥.

⁶ - البقرة: ٢٥٥.

⁷ - تفسير العياشى: ج ١ ص ١٣٨ ح ٤٥٨.

و يظهر من هذه الأخبار - أعنى أخبار الحمل - أن في ذلك المقام تفصيلاً ما، أى انفصلاً للنوع عن النوع، حيث يثبت إنساناً وديكاً وثوراً و أسداً.

والنظر الصحيح فيها يُعطى أن الكرسي مقام تفرّق الأنواع و تفصيلها من الوجود المنبسط، و أن الحملة الأربعة له، وللعرش باعتباره.

وأما العرش، بالمعنى الذى استفدناه، فهو مقام الكون الذى تجتمع فيه التفاصيل و تظهر روابطها؛ و لذا ورد أن الكرسي ظاهر العلم، و العرش باطنه.

و فى التوحيد مسنداً عن حنان بن سدير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن العرش و الكرسي. فقال: إن للعرش صفات كثيرة مختلفة، له فى كل سبب و صنع<sup>١</sup> فى القرآن صنعة<sup>٢</sup> على حدة. فقوله: (رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) يقول: ربّ الملك العظيم<sup>٣</sup>؛ و قوله: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)<sup>٤</sup>، يقول: على الملك احتوى احتوى. و هذا علم الكيفوفيه فى الأشياء. ثمّ العرش فى الوصل متفرّد عن الكرسي، لأنّهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، و هما جميعاً غيبان، و هما فى الغيب مقرونان، لأنّ الكرسيّ هو الباب الظاهر من الغيب الذى منه مطلع البدع، و منها<sup>٥</sup> الأشياء كلّها؛ و العرش هو الباب الباطن الذى يوجد فيه علم الكيف و الكون الكون و القدر و الحدّ و الأين و المشيئة و صفة الإرادة، و علم الألفاظ و الحركات و الترك، و علم العود و البدء؛ فهما فى العلم بابان مقرونان، لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسيّ؛ و علمه اغيب من علم الكرسيّ؛ فمن ذلك قال: (رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)، أى صفته أعظم من صفة الكرسيّ، و هما فى ذلك مقرونان.

قلت: جعلت فداك، فلم صار فى الفضل جار الكرسيّ؟

قال عليه السلام: إنّه صار جاره لأنّ علم الكيفوفيه فيه، و فيه الظاهر من أبواب البداء و أنيتها و حدّ رتقها و فتقها؛ فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه فى الصرف. و بمثل صرف العلماء و ليستدلّوا على صدق دعواهما، لأنّه يختصّ برحمته من يشاء، و هو القوىّ العزيز<sup>٦</sup>، الخبر.

<sup>١</sup> - فى التوحيد: «وضع».

<sup>٢</sup> - فى التوحيد: «صفة».

<sup>٣</sup> - فى التوحيد: «يقول الملك العظيم».

<sup>٤</sup> - طه: ٥.

<sup>٥</sup> - فى التوحيد: «منه».

<sup>٦</sup> - التوحيد: ب ٥٠ ص ٣٢١ ح ١.

قوله عليه السلام: « و فيه الظاهر ... الى آخره » ، أى فى الكرسي؛ و وجهه ظاهر ممّا قدّمنا .

و قوله عليه السلام: « أحدهما حمل صاحبه .. الى آخره » ، يمكن إرجاع الضمير الى كلّ منهما بوجه ؛ فإنّ الظاهر يحمل الباطن بوجه ، كالعكس ، لكن لا يوجد فى الروايات شىء يوجد فيه حمل العرش للكرسي ، و قد يوجد العكس .

و قوله عليه السلام : « و بمثل صرف العلماء .. الى آخره » ظاهره البناء للمجهول ، و ان كان البناء للمعلوم أيضاً صحيحاً . و التصريف بالأمثال أنّما هو ستر للاسرار الالهية .

و قوله عليه السلام: « و ليستدلّوا على صدق دعواهما .. الى آخره » ، الظاهر أنّ الضمير للعرش و الكرسي؛ و ذلك أنّ فى التمثيل إعطاء الدليل ، فافهم . و ما عدّه عليه السلام من أقسام العلوم فيهما قابل الاستفادة من الآيات التى ورد فيها ذكرهما .

و الى ما مرّيشير قول على عليه السلام على ما فى الاحتجاج فى جواب من سأله عن بُعد ما بين الأرض و العرش فقال عليه السلام: « قول العبد مخلصاً : لا إله إلا الله »<sup>١</sup> .

و فى الفقيه و العلل و المجالس للصدوق ، روى عن الصادق عليه السلام أنّه سئل لم سمى الكعبة كعبة؟ قال : لأنّها مربعة .

ف قيل له : و لم صارت مربعة؟

قال : لأنّها بحذاء البيت المعمور ، و هو مربع .

ف قيل له : و لم صار البيت المعمور مربعاً؟

قال : لأنّه بحذاء العرش ، و هو مربع .

ف قيل له : و لم صار العرش مربعاً؟

قال : لأنّ الكلمات التى بُنى عليها الاسلام أربع: « سبحان الله ، و الحمد لله ، و لا إله إلا الله ، و الله أكبر »<sup>٢</sup> ، الحديث ،

و هذه الكلمات الأربعة، كما ترى ، أولها يتضمّن مرحلة التنزيه ، و الثانية مرحلة التشبيه ، و الثالثة مرحلة التوحيد ، و الرابعة التوحيد الأعظم . و قد ورد عن الصادق عليه السلام: « أنّ معنى الله أكبر : الله أكبر من أن يوصف »<sup>١</sup> .

<sup>١</sup> - الاحتجاج: ص ٢٥٩، قوله عليه السلام: « سلوني قبل أن تفقدوني » و أجوبته مسائل ابن الكوا.

<sup>٢</sup> - علل الشرائع: ج ٢ ب ١٣٨ ح ٣٩٨ ، و فى الفقيه مع اختلاف يسير: ج ٢ ص ١٩٠ ح ٢، الأمالي: مجلس ٣٥ ص ١٥٨ ولكن عن النبي (ص) مع اختلاف.

و فى العلل عن علل ابن سنان عن الرضا عليه السلام : « علّة الطواف بالبيت أنّ الله تبارك و تعالى قال للملائكة : (انى جاعلٌ فى الأرض خليفةً قالوا أتجعلُ فيها من يُفسدُ فيها و يفسدُ الدماء ) فردّوا على الله تبارك و تعالى هذا الجواب ؛ فعلموا أنّهم أذنبوا؛ فندموا؛ فلاذوا بالعرش ؛ واستغفروا<sup>١</sup>؛ فأحبّ الله تعالى أن يتعبّد بمثل ذلك العباد؛ فوضع فى السماء الرابعة بيتاً بحذاء الضراح؛ ثمّ وضع فى السماء الدنيا بيتاً يسمّى البيت المعمور بحذاء الضراح؛ ثمّ وضع البيت<sup>٢</sup> بحذاء البيت المعمور ؛ ثمّ أمر آدم ، فطاف به، فتاب الله عليه فجرى<sup>٣</sup> ذلك فى ولده الى يوم القيامة<sup>٤</sup> ، الخبر .

و الأخبار فى هذا المعنى كثيرة، و منها يظهر أنّ نسبة العرش الى عالمه نسبة الكعبة الى عالمنا الدنيا؛ و قد مرّ فى الكلام على الحجب رواية « أنّ الشمس جزء من سبعين جزءً من نور الكرسى ، و نور الكرسى جزء من سبعين جزءً من نور العرش » ، الخبر .

و منه يظهر أنّ نسبة العرش الى حومته كنسبة الشمس الى عالمنا الدنيا ، حيث إنّ لها تدبير أجسام ما فى حومتها و نظامها بما دبّرها العليم الخبير.

فقد تبين من جميع ما مرّ أنّ العرش هو باطن عالم التجرد، و هو عالم العقول الطولية من الوجود المنبسط؛ و الكرسى هو ظاهره ، و هو عالم العقول العرضية و ما دونه .

تتمه

و أنت بعد الإحاطة بما مرّ تعرف معنى ما ورد فى المقام من متفرقات الأخبار فى التفسير.

و فى حديث آخر : « حملة العرش ثمانية : أربعة من الأولين، و أربعة من الآخرين؛ فأما الأربعة من الأولين : فنوح و إبراهيم و موسى و عيسى ، و أما الأربعة من الآخرين : فمحمّد و على و الحسن و الحسين عليهم السلام»<sup>٥</sup> .

و فى روضة الواعظين : روى جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده عليهم السلام الى أن قال : « و إنّ بين القائمة من قوائم العرش و القائمة الثانية خفقان الطير المسرع مسير ألف عام؛ و العرش يكسى كلّ يوم

<sup>١</sup> - معانى الاخبار: ب ١١ ح ٢١ و٢.

<sup>٢</sup> - فى العلل: «استغفروا».

<sup>٣</sup> - فى العلل: «ثمّ وضع هذا البيت».

<sup>٤</sup> - فى العلل: «فطاف به فتاب الله عليه وجرى».

<sup>٥</sup> - علل الشرائع: ج ٢ ب ١٤٢ ص ٤٠٦ ح ٧.

<sup>٦</sup> - المصدر السابق.

سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله ؛ و الأشياء كلّها فى العرش كحلقة فى فلاة «<sup>١</sup> .

أقول : و هذه المعانى مروية بطرق كثيرة أخرى .

وورد: « أن آية الكرسي و آخر البقرة و سورة محمد من كنوز العرش »<sup>٢</sup> .

وورد: « أن صاد نهر يخرج من ساق العرش »<sup>٣</sup> .

وورد: « أن العرش سقف الجنة »<sup>٤</sup> .

وورد: « أن العرش يرتج عند بكاء اليتيم »<sup>٥</sup> .

وورد: « أن الأفق المبين قاع بين يدى العرش ، فيه أنهار تطرد ، فيه من القد حان عدد النجوم »<sup>٦</sup> .

وورد: « أن روح بعض الأئمة على العرش ينظر الى زواره »<sup>٧</sup> .

وورد: « أن قلب المؤمن عرش الرحمن »<sup>٨</sup> .

وورد فى الحديث القدسي : « ما وسعنى أرضى و لا سمائى ، و وسعنى قلب عبدى المؤمن »<sup>٩</sup> ؛ الى غير ذلك من متفرقات الروايات .

و اعلم أن ما يعتقدّه الناس من كون العرش جسماً أعظم ما يكون كهيئة السرير فوق الأفلاك، أو أنه الفلك التاسع المحدّد للجهات تطبيقاً بهيئة بطلميوس ، فلم نجد له شاهداً يركن اليه من الروايات ، بل بعض الروايات فى مقام تكذيبه ، كما مرّ فيما مرّ .

### [بيان معنى اللوح و القلم]

و أمّا الكلام فى القلم و اللوح ، فهما أيضاً من ضروريات الاسلام ، تكرر ذكرهما فى القرآن ، و تواترت بهما أخبار العامّة و الخاصّة .

<sup>١</sup> - روضة الواعظين: فى العجائب التى تدلّ على عظمة الله تعالى ص ٤٧، و بحار الانوار: ج ٥٥ ص ٣٤ ح ٥٤ .

<sup>٢</sup> - العلل: باب ١٠٦ ص ١٢٨ ح ٣، الدر المنثور: سورة البقرة ج ١ ص ٢٥٥ . فى العلل: «أعطيت آية الكرسي من كنز تحت العرش» .

<sup>٣</sup> - فى معانى الاخبار ب ١٧ ص ٢٢: «وأمّا «ص» فعين تنبع من تحت العرش» .

<sup>٤</sup> - لم نعنر عليه .

<sup>٥</sup> - بحار الانوار: ج ٧٢ ص ٧٢ ح ١٢ .

<sup>٦</sup> - البحار: ج ٥٨ ص ٢٩ ح ٤٨ .

<sup>٧</sup> - كامل الزيارات: ص ١٠٣ .

<sup>٨</sup> - بحار الانوار: ج ٥٥ ص ٣٩ .

<sup>٩</sup> - بحار الانوار: ج ٥٥ ص ٣٩ .

قال سبحانه: ( وَ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ )<sup>١</sup>.

وقال تعالى: ( وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَ لَا يَابَسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ )<sup>٢</sup>.

وقال تعالى: ( وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ )<sup>٣</sup>، الآيات.

مزج سبحانه بين علمه و بين الكتاب ، فأفاد أن علمه عين الكتاب الذي هو مبين ؛ و قال تعالى : ( وَ كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ )<sup>٤</sup> ، الآية . و سياق الآيات يعطى أن هذا العلم علم بالجزئيات وأشخاصها ؛ فلو كان كتابة هذا الكتاب بالتخطيط و التسطير ، نظير الكتب التي بيننا، لم يحتو إلا على المفاهيم التي هي كلييات دون الجزئيات؛ إذ المفهوم – و لو تعيّن بأىّ تعيّن فرض – يقبل الانطباق على أمور كثيرة متماثلة. و يشير إليه قوله سبحانه : ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِيْمًا كَانُوا )<sup>٥</sup> الآية؛ و قال تعالى: ( قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ )<sup>٦</sup> ، الآية. فوصفه بأنه حفيظ ، و أنه عنده ؛ و قد أخبر سبحانه بأن ما عنده باقٍ لا ينفد؛ فهذا الكتاب شامل لجميع جزئيات الموجودات و كليياتها ، بوجود باقٍ محفوظ لا يتبدل و لا يتغيّر ؛ كما قال سبحانه : ( يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ )<sup>٧</sup>.

ثمّ انه سبحانه أثبت في هذه الآيات كتاباً واحداً سمّاه في موضع بالكتاب المبين، و في آخر بأم الكتاب، و في آخر بالكتاب الحفيظ و الكتاب المكنون و الكتاب المسطور واللوح المحفوظ ؛ ثمّ قال تعالى : ( كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ \* وَ مَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ \* كِتَابٌ مَرْقُومٌ \* يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ )<sup>٨</sup>، و قال سبحانه:

<sup>١</sup> - يونس: ٦١.

<sup>٢</sup> - الانعام: ٥٩.

<sup>٣</sup> - هود: ٦.

<sup>٤</sup> - يس: ١٢.

<sup>٥</sup> - المجادلة: ٧.

<sup>٦</sup> - ق: ٤.

<sup>٧</sup> - الرعد: ٣٩.

<sup>٨</sup> - المطففين: ١٨-٢١.



كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ \* وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ \* كِتَابٌ مَرْقُومٌ \* وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ<sup>١</sup> الآيات.  
فأثبت سبحانه كتاباً للسعادة و كتاباً آخر للشقاوة؛ ثمَّ قال تعالى: ( يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِسْمِهِمْ)<sup>٢</sup>، و قال  
تعالى: ( كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا)<sup>٣</sup>، الآية؛ فأثبت لكل أمة كتاباً على حدة؛ ثمَّ قال تعالى: ( وَكُلُّ إِنْسَانٍ  
الزَّمَانُ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا)<sup>٤</sup>، الآية. فأثبت لكل إنسان كتاباً على  
حده؛ ثمَّ قال سبحانه: ( مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُّسَمًّى)<sup>٥</sup>، و قال تعالى:  
( لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)<sup>٦</sup>، الآية؛ فأثبت لكل موجود من الموجودات كتاباً واحداً بشخصه؛ ثمَّ قال سبحانه:  
( هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)<sup>٧</sup>، الآية؛ فأثبت أن أعمالهم بنحو  
الاستنساخ من أم الكتاب، و أن سائر الكتب فروع مأخوذة منه؛ و هذا هو تنزل الموجودات من مرحلة  
الغيب الى حيز الشهادة. فهذا حديث الكتب و الألواح.

ثمَّ إنَّ الله سبحانه أفاد بذلك لنا أن بينه سبحانه و بين الموجودات أمراً سبيله سبيل الكتاب يكتبه الملك منَّا  
ليكون مأخذ لصدور أحكام مملكته و برنامجاً لتفصيل إجراءاته في مقام العمل. فهناك ما يجرى مجرى  
المداد و القلم و الكتاب. و لم يرد في القرآن ذكر من المداد و القلم غير قوله تعالى: ( ن وَ الْقَلَمِ وَ مَا  
يَسْطُرُونَ)<sup>٨</sup> و قوله تعالى: ( الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)<sup>٩</sup>، الآية. و لعل ذلك لشدة  
طريقية المداد و القلم في المطالب، كما هو المعمول أيضاً، فإنَّ الذكر إنما يقع على الكتاب دون القلم و  
المداد. و أمَّا ذكر الكتاب فكثير، كما لا يخفى. و هو موجود واحد منبع لفيضان الفيوضات؛ فهو ملك  
بلاشك؛ و كيف لا، و هو مصدر الفيوضات و منشأ الخيرات و البركات و الإدراكات؛ فهو درّاك فعّال؛ فهو  
حي؛ فهو ملك، إذ هو الموجود الحيّ العالم الفعّال الذي يتوسّط بين الحقّ و الخلق، و إن كان كل ما له  
فلمبدعه تعالى.

<sup>١</sup> - المطففين: ٧-١٠.

<sup>٢</sup> - الاسراء: ٧١.

<sup>٣</sup> - الجاثية: ٢٨.

<sup>٤</sup> - الاسراء: ١٣.

<sup>٥</sup> - الاحقاف: ٣.

<sup>٦</sup> - الرعد: ٣٨.

<sup>٧</sup> - الجاثية: ٢٩.

<sup>٨</sup> - القلم: ١.

<sup>٩</sup> - العلق: ٤ و ٥.

أقول : و الأخبار أيضاً تبين هذا البيان ، و تفسرها على هذه الاعتبارات .  
و قد ظهر من رواية حنان السابقة أن هذه أمثال ضربت للناس ، و ما يعقلها إلا العالمون . و الإشارة الى هذا المعنى كثير في الكتاب و السنة .

و فى الاحتجاج عن هشام بن الحكم أنه سأل الزنديق أبا عبدالله عليه السلام فقال : أوليس توزن الأعمال ؟ قال : لا ، ان الأعمال ليست بأجسام ؛ و إنما هى صفة ما عملوا؛ و إنما يحتاج الى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ، و لا يعرف ثقلها و خفتها؛ و ان الله لا يخفى عليه شيء . قال : فما معنى الميزان ؟ قال : العدل ، الحديث<sup>١</sup> .

و هذه الرواية تعطى ميزاناً كلياً ، و أن ما ورد عنهم فى أمثال ذلك لإتمام<sup>٢</sup> الحجّة جواب مطابق لظواهر المعارف؛ و أمّا ممثلات هذه الأمثال فلها معانٍ تحت هذه المعانى ، غير أن السنخية اللازمة بين المثل و الممثل لا بد من وجودها . و على أى حال ، فإذا رجعنا الى ما عندنا من الأمور وجدنا أن المداد و القلم و اللوح معتبرة عندنا لحفظ الإشارة الى الأعيان الخارجية فى النقش .

و بعبارة مجازية: مراتب الوجود عند الناس ثلاث: الوجود الخارجى ، و الوجود ذهنى ، و الوجود الكتبى . و كل من هذه الثلاث يحكى عمّا قبله ؛ و الحوادث المكتوبة موجودة فى مقام الإجمال فى القلم ، و فى مقام التفصيل فى اللوح . و بنظر أدق من ذلك ، الإجمال و التفصيل كلاهما فى المداد؛ و القلم حافظ لإجماله ، مفيض لتفصيله .

هذا فإذا ثبت فى الوجود مداد و قلم و لوح مسطور فيه نظام الوجود ، كان القلم مرتبة من مراتب الوجود ، موجوداً فيها الموجودات بنحو الإجمال و البساطة ، مفيضاً للتفصيل ؛ و كان اللوح مرتبة أخرى ، موجوداً فيها تفاصيل الموجودات ؛ و كان المداد مرتبة ثابتاً فيها الإجمال و التفصيل معاً ؛ و هو الوجود المنبسط على ما دون الأسماء .

وهذه المراتب حيث إنها مجردة الوجود أزيد من نوع واحد فيها ، فمعها الحياة و العلم، على ما تقرّر فى محله ؛ فإذا لو حظت المراتب كانت متّحدة اتحاداً ما بالعرش ؛ وإذا لو حظت الحدود و المهيئات كانت أملاكاً ثلاثة .

<sup>١</sup> - الاحتجاج: احتجاج الصادق عليه السلام على الزنادقة ص ٣٥١ .

<sup>٢</sup> - فى الاصل: «ذلك بأنه لإتمام الحجّة»

و الى المعنى الاول يشير ما فى تفسير القمى فى قوله تعالى: ( بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ\* فى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ )<sup>١</sup> ، قال عليه السلام : « اللوح المحفوظ له طرفان : طرف على العرش ، و طرف على جبهة اسرافيل »<sup>٢</sup> ، الخبر . و ما سيأتى فى رواية الأقصر .

و يدلّ على المعنى الثانى ما فى تفسير القمى مسنداً عن هشام عن أبى عبدالله عليه السلام ، قال : « اول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، فكتب ما كان و ما هو كائن الى يوم القيامة »<sup>٣</sup> . أقول : و هذا المعنى مروى بطرق العامة أيضاً .

و فى معانى الاخبار مسنداً عن إبراهيم الكرخى ، قال : سألت جعفر بن محمد عن اللوح و القلم فقال : هما ملكان<sup>٤</sup> .

و فيه أيضاً مسنداً عن سفيان عن أبى عبدالله عليه السلام [سئل] عن «ن» : فقال : هو نهر فى الجنة قال الله عزّوجلّ : فجمد ، فجمد ، فصار مداداً .

ثمّ قال عزّوجلّ للقلم : اكتب ، فسطرّ القلم فى اللوح المحفوظ ما كان و ما هو كائن الى يوم القيامة . فالمداد مداد من نور ؛ و القلم قلم من نور ؛ و اللوح لوح من نور .

قال سفيان : فقلت له : يا ابن رسول الله ، بين لى أمر اللوح و القلم و المداد فضل بيان ، و علّمنى ممّا علّمك الله .

فقال : يابن سعيد، لولا أنّك أهل للجواب ما أجبتك . فنون ملك يؤدّى الى القلم ، و هو ملك ؛ و القلم يؤدّى الى اللوح ، و هو ملك ؛ و اللوح يؤدّى الى اسرافيل ؛ و اسرافيل يؤدّى الى ميكائيل ؛ و ميكائيل يؤدّى الى جبرئيل ؛ و جبرئيل يؤدّى الى الأنبياء و الرسل . قال : ثمّ قال لى : قم يا سفيان ، فلا آمن عليك<sup>٥</sup> .

و فى تفسير القمى عن أبىه عن ابن أبى عمير عن عبدالرحمن الأقصر عن أبى عبدالله عليه السلام ، قال : سألته عن (ن و القلم) . قال : إنّ الله خلق القلم من شجرة فى الجنة يقال لها الخلد؛ ثمّ قال لنهر فى الجنة : كُنّ مداداً ، فجمد النهر ، و كان أشدّ بياضاً من الثلج ، و أحلى من الشهد؛ ثمّ قال للقلم : اكتب . قال : يا

<sup>١</sup> - البروج: ٢١ و ٢٢ .

<sup>٢</sup> - تفسير القمى : ج ٢ ص ٤١٤ .

<sup>٣</sup> - تفسير القمى : ج ٢ ص ١٩٨ .

<sup>٤</sup> - معانى الاخبار: ب ٢٠ ص ٣٠ .

<sup>٥</sup> - معانى الاخبار: ب ١٦ ص ٢٣ ح ١ .

ربّ ، ما أكتب ؟ قال : اكتب ما كان و ما هو كائن الى يوم القيامة ، فكتب القلم فى رقّ أشدّ بياضاً من الفضة و أصفى من الياقوت؛ ثمّ طواه ، فجعله فى ركن العرش ؛ ثمّ ختم على فم القلم ؛ فلم ينطق بعد، و لا ينطق أبداً . فهو الكتاب المكنون الذى منه النسخ كلّها . أولستم عرباً؟ فكيف لاتعرفون معنى الكلام! وأحدكم يقول لصاحبه : انسخ ذلك الكتاب ، أوليس أنّما ينسخ من كتاب آخر<sup>١</sup> من الأصل ؟ و هو قوله: ( إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)<sup>٢</sup>، الحديث.

أقول : وروى هذا المعنى فى تفسير العياشى<sup>٣</sup> و العلل<sup>٤</sup> و معانى الأخبار<sup>٥</sup> . قوله : « خلق القلم من شجرة فى الجنة .. الى آخره »، يستدعى سبق الجنة على خلق القلم ؛ و قد مرّت الرواية: « أن القلم أول مخلوق »؛ و لا منافاة ، بناءً على ما يعرفه أهله ، أن من مراتب الجنة ما لا يطلق عليه لفظ الخلق . و قريب منه قوله صلى الله عليه و آله و سلّم: « أول ما خلق الله نور نبيك ، يا جابر »<sup>٦</sup> مع ما ورد « أن طينتهم مأخوذة من الجنة و الناس فى غفلة عن هذا المعنى »<sup>٧</sup> .

و مقتضى الرواية أن المداد إمّا مع القلم ، و إمّا قبله ؛ و لم نجد رواية تدلّ على أن أول ما خلق الله المداد ، غير ما فى الخصال، عن الباقر عليه السلام ، قال : « إن لرسول الله صلى الله عليه وآله و سلّم عشر أسماء ، خمسة فى القرآن ، و خمسة ليست فى القرآن . فأما التى فى القرآن : محمد ، و أحمد ، و عبدالله ، و يس ، و ن « الحديث ؛ مع ما فى الخبر المشهور : « أول ما خلق الله نور نبيك ، يا جابر » .

هذا و يمكن بيان وجه لفظى له ، و هو أن المعتبر فى الوساطة عند الناس القلم و اللوح ، فأما المداد فهو فان فيها ، منقول عنه ، غير منظور اليه استقلالاً ، و قد مرّ فهذا الوجه ، فافهم .  
و قوله « فى رقّ أشدّ بياضاً من الفضة .. الى آخره »<sup>٨</sup> تعبير عن اللوح ، و الرقّ الجلد . و قد مرّ تعبير آخر عنه فى رواية سفيان بأنه لوح من نور ؛ و له تعبير آخر فى حديث القمى ، فى نزول اسرافيل على رسول

<sup>١</sup> - فى المصدر: «أخذ».

<sup>٢</sup> - تفسير القمى: ج٢ص٣٧٩ فى تفسير قوله تعالى: «ن والقلم و ما يسطرون».

<sup>٣</sup> - تفسير العياشى: سورة البقرة ج١ص٣٠٥.

<sup>٤</sup> - علل الشرائع: باب ١٤٢ ج٢ص٢٠٢.

<sup>٥</sup> - معانى الأخبار: معنى الحروف المقطعة ح١ص٢٣.

<sup>٦</sup> - البحار: ج١٥ص٢٤ح٤٣.

<sup>٧</sup> - و ان كانت الطينة ادنى مرتبتها من النور (منه رحمه الله).

<sup>٨</sup> - فى الاصل: «من التلج».

الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم « قال جبرئيل: إن هذا اسرافيل ، وهو حاجب الربّ ، أقرب خلق الله منه ؛ واللوح بين عينيه من ياقوته حمراء » ، الحديث.

وقد اختلف التعبير عن القلم أيضاً تارة بأنه من شجرة الخلد في الجنة ، وتارة بأنه قلم من نور ؛ وعن المداد تارة بأنه نهر في الجنة أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من الشهد، وتارة بأنه مداد من نور ؛ وعن الجميع بأنّ المداد واللوح والقلم أملاك ثلاثة . ولعمري هذا الاختلاف في التعبير و أمثاله من أوضح الدليل على أنّها أمثال مضرورية بحسب اختلاف الجهات أو الأفهام . فهب أن هذه صنائع لفظية و تشبيهات شعرية ارتكبتها أئمة الإسلام لتزيين اللفظ بتسمية أشياء باللوح والقلم والمداد والكتاب والميزان وأمثال ذلك، فما معنى تذييله بأنه كان أشدّ بياضاً من الثلج، وأحلى من الشهد، ونحو ذلك؟ فهل هذا إلّا أنّها أمثال مضرورية، وأستار دونها أسرار ؟ والله الهادي.

وقوله عليه السلام : « ثمّ طواه فجعله في ركن .. الى آخره » ، إشارة الى اتّحاده بالعرش ، كما مرّ في حديث القمّي .

وقوله عليه السلام : « ثمّ ختم على فم القلم .. الى آخره » ، إشارة الى حتمية القضاء المكتوب فيه ، كما في التوحيد و تفسير القمّي عن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم ، قال : « سبق العلم ، و جفّ القلم ، و مضى القضاء ، و تمّ القدر بتحقيق الكتاب و تصديق الرسل ، و بالسعادة من الله لمن آمن و اتقى ، و بالشقاء لمن كذب و كفر »<sup>١</sup> ، الحديث . و لامنافاة بين كون هذا النظام في مرتبة من مراتب وجوده محتوماً غير قابل للتغيّر ، و في مرتبة أخرى قابلاً له ؛ فإنّ الإجمال و قبول التغيّر من لوازم مرتبة القوّة و الإمكان من الاستعدادات المتفرقة ؛ و أمّا المراتب العليا فمقدّسة عن شوب القوّة و الإمكان ، و الى الله الرجعى .

وقوله عليه السلام: « أولستم عرباً .. الى آخره » ، إشارة الى تنزّل وجود الأعمال من مراتب الغيب الى مراتب الشهادة، فإنّ الظاهر من الأخبار أنّ أعمال بنى آدم الواقعة تنسخ أولاً عن اللوح المحفوظ ، فيجىء به الملكان الى هذا العالم ، ثمّ يصعدان به الى اللوح ، فيقابل به .

ففى كتاب سعد السعود فى رواية: « أنّها إذا أرادوا النزول صباحاً و مساءً ينسخ لهما اسرافيل عمل العبد من اللوح المحفوظ ، فيعطيهما ذلك. فإذا صعدا صباحاً و مساءً بديوان العبد قابله اسرافيل بالنسخ التى انتسخ لهما ، حتى يظهر أنّه كان كما نسخ منه »<sup>٢</sup> ، الخبر.

<sup>١</sup> - التوحيد: ب٥٥ص٣٤٣ح١٣، تفسير القمّي: سورة فاطر ج٢ص٢١٠.

<sup>٢</sup> - سعد السعود: ص٢٢٦.

و فى الوسائط من الملائكة الكتاب بين اسرافيل و الملكين أخبار أخر ، منها ما فى كتاب محاسبة النفس لابن طاووس مسنداً عن أمير المؤمنين عليه السلام فى حديث: « البيت المعمور فيه كتاب أهل الجنة عن يمين الباب ، يكتبون أعمال أهل الجنة ، و [فيه] كتاب أهل النار عن يسار الباب ، يكتبون أعمال أهل النار بأقلام سود»<sup>١</sup> ، الخبر.

و فى المحاسن و العلل مسنداً عن حبيب السجستاني ، قال : قال أبو جعفر عليه لسلام : « إنما سُميت سدرة المنتهى لأن أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة الى محل السدرة . قال : والحفظة الكرام البررة دون السدرة ، يكتبون ما يرفعه اليهم الملائكة<sup>٢</sup> من أعمال العباد فى الارض ، فينتهى بها<sup>٣</sup> الى محل السدرة»<sup>٤</sup> ، الخبر.

و فى تفسير القمى عن الباقر عليه السلام ، قال : « السجين : الأرض السابعة ، وعلّيون : السماء السابعة »<sup>٥</sup> ، الخبر.

أقول: و هذه الأخبار بظاهرها مختصة بكتاب أعمال بنى آدم؛ ويدل على الأعم من ذلك ما فى تفسير القمى مسنداً عن حماد عن أبى عبدالله عليه السلام ، أنه سُئل : الملائكة أكثر أم بنو آدم؟ فقال عليه السلام: و الذى نفسى بيده ، لملائكة الله فى السماوات أكثر من عدد التراب فى الأرض ؛ و ما فى السماء موضع قدم إلّا و فيها ملك يسبحه و يقدرسه؛ و لافى الأرض شجر و لا مدر إلّا و فيها ملك موكل بها ، يأتى الله كل يوم بعملها ، و الله أعلم بها<sup>٦</sup> ، الخبر.

أقول : و الاحاطة بما قدمنا من الأصول يغنى عن الاطالة فى بيانها ، على أن البناء على إثارة الاختصار . ثم اعلم ان الأخبار تكاثرت فى ثبوت المحو والإثبات فى الحوادث الخارجية ، و هو البداء؛ و قد نطق به القرآن ، قال تعالى: ( يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)<sup>٧</sup> ، الآية . و هذا يوجب ثبوت ألواح وكتب أخرى بعد اللوح المحفوظ ، يتطرق لها التغيير؛ و حيث إن الوجود لا ينقلب عما هو عليه بالضرورة،

<sup>١</sup> - محاسبة النفس: ب٥ف٢ص٢٨ مع اختلاف يسير.

<sup>٢</sup> - فى المصدر: «الى محل السدرة و الحفظة».

<sup>٣</sup> - فى المصدر: «ما ترفع اليهم الملائكة».

<sup>٤</sup> - فى المصدر: «فينتهون بها».

<sup>٥</sup> - علل الشرائع: ج١ب١٨٥ص٢٧٧ح١.

<sup>٦</sup> - تفسير القمى: ج٢ص٤١٠ ذيل آية ٢١ من سورة المطففين.

<sup>٧</sup> - بحار الانوار: ج٥٩ص١٧٦ح٧ نقلاً عن تفسير القمى

<sup>٨</sup> - الرعد: ٣٩.

فالمكتوب في هذه الألواح من الحوادث وجوداتها الناقصة التي في ضمن مقتضياتها ؛ فيوجب ذلك إجمالاً و احتمالاً لا يتعيّن و وجوداتها التامة فيها . و هذا الإجمال غير الإجمال الذي سبق في المداد و القلم ؛ فإنّه فيهما بمعنى بساطة الوجود و شدّة صرافتها ، بخلاف ما هاهنا، فإنّه بواسطة شوب المادة و الاستعداد بوجه . و منه يعلم أنّ هذه الألواح مادّية طبيعية ؛ و أمّا المثالية و المجرّدة منها فينبغي أن يتصوّر على ما صورناه في « رسالة أفعال الله ».

هذا و مثل هذا المحو و الإثبات ثابت في كتب الأعمال بالكتاب و السنّة، كمحو السيّئة و إثبات الحسنه ، و حبط الأعمال بواسطة بعض الذنوب و الخطايا ، و المغفرة ، و الشفاعة ؛ و الله أعلم.

### [ في معنى السماوات و الأرض ]

و أمّا الكلام في السماوات و الأرض ، فالكتاب و السنّة مملوآن من ذكرهما . أقول : و المحصّل من ذلك أنّ في الوجود سبع سماوات ؛ و أنّ السماء الدنيا هي التي فيها هذه النجوم و الكواكب المحسوسة ، و هي تسبح فيها، و المجرة شرجها، كأنها عروة كيس تجمع رأسها ؛ و أنّ هذا الجوّ مكفوف مجتمع ؛ و أنّ في الوجود سبع أرضين مخصوصة في الكتاب العزيز بالذكر في قوله تعالى : ( وَ مِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ )<sup>١</sup> أحدها أرضنا، و نحن من الأرض ، و هي في الجوّ ، و هي مدحية مبسوطة ليست بالموجودة دفعة، و لها حركة ما ؛ و أنّ في الوجود عوالم كثيرة لا تحصى ، قد انقرض منها عدد كثير ، و عدد كثير منها باقٍ بعد .

هذا هو الذي يتحصّل من الكتاب و السنّة للذهن الخالي الغير المتقلّد بالتقليد. قال الله تعالى : (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا)<sup>٢</sup> و قال تعالى : (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَزِينَةِ الْكَوَاكِبِ )<sup>٣</sup> و قال تعالى : (وَ كُلُّ فِي فَلَكٍ فَلَكٍ يَسْبَحُونَ )<sup>٤</sup> .

و في كتاب الاحتجاج و غيره عن أمير المؤمنين عليه السلام و قد سئل عن المجرة ، قال : «شرح السماء»<sup>٥</sup> السماء»<sup>٥</sup> ، الخبر.

<sup>١</sup> - الطلاق: ١٢.

<sup>٢</sup> - الملك: ٣.

<sup>٣</sup> - الصافات: ٦.

<sup>٤</sup> - الانبياء: ٣٣.

<sup>٥</sup> - الاحتجاج، قوله عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني» واجوبته مسائل ابن الكوا ص ٢٦٠.

و فى النهج قال عليه السلام : « اللهم ربّ السقف المرفوع ، و الجوّ المكفوف ، الذى جعلته مفيضاً لليل و النهار ، و مجرى للشمس و القمر ، و مختلفاً للنجوم السيارة »<sup>١</sup> .

و قال تعالى : ( الذى خلق سبع سماواتٍ و من الارضِ مثلهنّ يتنزّلُ الأمرُ بينهنّ )<sup>٢</sup> و قال تعالى : ( و الارضَ بعد ذلك دحّاهَا )<sup>٣</sup> و قال تعالى : ( و الارضَ مددناها و ألقينا فيها رواسي )<sup>٤</sup> .

و قال تعالى : ( و الارضَ فرشناها فنعم الماهدون )<sup>٥</sup> .

و قال تعالى : ( هو الذى جعل لكم الارضَ ذلولاً فامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه و اليه النشور ) الى أن قال : ( أولم يروا الى الطير فوقهم صافاتٍ و يقبضن ما يمسكهنّ الا الرحمن )<sup>٦</sup> ، الآية .

و قد نظقت الأخبار : « انّ لله عوالم كثيرة ، فيها خلائق كثيرين مكلفون ؛ و انّ الله خلق ألف ألف عالم ، و ألف ألف آدم ، أنتم فى آخرهم » ؛ و غير ذلك ممّا يخرجنا استقصائها الى الاطناب .

أقول : و أمّا أنّ غير السماء الدنيا و الارض من بقية السماوات و الارضين ما هى فى حقيقتها؟ فلا يظهر تمام الظهور .

والذى ينبغى أن يقال هو أنّه تواترت النصوص كتاباً و سنّة أنّ هذه السماوات السبع مملوءة من الملائكة ؛ و أنّ منهم سدنة لأبوابها ، و منهم حفظة لها ، و منهم ملائكة متعدّدة متنسّكة راکعة أو ساجدة أو قائمة أو والهة ، و منهم سيّارة تنزل بالأمر الإلهى أو تعرج بالأخبار و الكتب أو تصعد بالألواح و الأعمال سماءً سماءً الى ما فوق السماء السابعة؛ و هناك سدرة المنتهى ، تنتهى اليها أعمال بنى آدم ، و عندها جنّة المأوى و بحار الأنوار الحجب ؛ و أنّ من الملائكة من رأسه تحت العرش و رجلاه فى تخوم الارض السابعة ؛ و أنّ من أرواح الأنبياء و الأولياء من هو ساكن فى السماء ، الى غير ذلك .

و إذا سيجىء أنّ هذه كلّها موجودات غير مادّية ، بل هى بين أجسام لطيفة مفارقة للمادة مثالية ، أو جواهر مجردة تجرّداً تاماً ، فحقيقة الأمر على أحد وجهين :

<sup>١</sup> - نهج البلاغة: خطبة ١٧١ ص ٢٤٠ .

<sup>٢</sup> - الطلاق: ١٢ .

<sup>٣</sup> - النازعات: ٣٠ .

<sup>٤</sup> - الحجر: ١٩ .

<sup>٥</sup> - الذاريات: ٤٨ .

<sup>٦</sup> - الملك: ١٥-١٩ .



إمّا أن يكون تمكّنكم في هذه الأماكن كتمكّن نار البرزخ في البرهوت، و جنة البرزخ في وادي السلام و بين قبر النبي و منبره ، و مثل كون القبر روضةً من رياض الجنة أو حفرةً من حفرة النيران ؛ و هو وجود أمر في باطن أمر .

و إمّا أن تكون هذه السماوات أموراً برزخيةً ، كما يظهر من أخبار آخر.

لكنّ ظاهر الأخبار أنّ في عالمنا المادّي أرضون و سماوات مادّية ؛ و على كلا التقديرين يثبت سماء و أرض من غير مادّة .

و ممّا هو ظاهر الدلالة على ذلك ما في كتاب الغارات با سنده عن ابن نباتة قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام: كم بين السماء و الأرض ؟ قال عليه السلام: « مدّ البصر ودعوة المظلوم »<sup>١</sup> ، الخبير.

وروى مثله بسند آخر ، و في آخره : « لا تقول غير ذلك »

والجمع بين الحكيمين، مع كون أحدهما حكم مادّي و الآخر حكم غير مادّي ، من جهة اتحادهما في الحقيقة و كون النسبة بينهما نسبة الظاهر و الباطن ؛ و هذا كثير في الأخبار الحاكية عن شؤون السماء و غير ها ، كالجنة و النار . و قال تعالى : ( وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوَعَدُونَ )<sup>٢</sup>.

و ما في علل الشرائع في حديث عن الصادق عليه السلام : « فهكذا الانسان خلق من شأن الدنيا و شأن الآخرة ؛ فإذا جمع الله بينهما صارت حياته في الأرض ، لأنّه نزل من شأن السماء الى الدنيا ؛ فإذا فرق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت ، تردّ شأن الأخرى الى السماء . فالحياة في الأرض ، والموت في السماء و ذلك أنّه يفرّق بين الأرواح والجسد؛ فردّت الروح و النور الى القدس<sup>٣</sup> الاولى ، و ترك الجسد لأنّه من شأن الدنيا»<sup>٤</sup> ، الحديث.

فيظهر ممّا مرّ أنّه كما أنّ في عالمنا المادّي أرضاً و سماءً ، كذلك فوق هذا العالم سماء ، و هي التي تعرج اليها الأرواح الطيّبة السعيدة و تتنعم فيها، و هي جنة البرزخ ؛ و أرضٌ ، و هي التي تهبط اليها الأرواح الخبيثة الشقية و تتعذب فيها ، و هي نار البرزخ . والأرواح في هاتين حتى تفنى بفناء المثال ، و يقوم الناس لربّ العالمين.

<sup>١</sup> - الغارات: ج ١ ص ١٨٨.

<sup>٢</sup> - الذاريات: ٢٢.

<sup>٣</sup> - في المصدر: «القدرة».

<sup>٤</sup> - علل الشرائع: ج ١ ص ٩٦ و ١٠٧ و ١٠٨ ح ٥.

هذا و من هنا أتت إذا راجعت الأخبار التي فيها : « أن الملائكة بعد قبض أرواح السعداء يعرجون بها الى السماء الى الله سبحانه ، ثم يؤمر بها الى الجنة » لا يوجد فيها ما يحكى عن أنها يهبط بها الى الأرض ثم تدخل الجنة ، مع أن جنة البرزخ بمقتضى الأخبار فى الأرض و فى القبر .

و يشهد لما مر أيضاً ما فى البصائر مسنداً عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزوجل : ( وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ )<sup>١</sup> ؛ قال : فكنت مطرقاً الى الأرض ، فرفع يده الى فوق ، ثم قال لى : ارفع رأسك . فرفع رأسى ، فنظرت الى السقف ، قد انفجر ، حتى خالص بصرى الى نور ساطع حار بصرى دونه . قال : ثم قال لى : رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض هكذا<sup>٢</sup> ، الخبر . و ما عن الصادق عليه السلام ، قال : « اذا كان ليلة القدر ، نزلت الملائكة و الروح الى السماء الدنيا ؛ فيكتبون ما يكون من قضاء الله فى تلك السنة »<sup>٣</sup> ، الحديث ؛ مع ما ورد « أن الروح بعد ما نزل الى الأرض مسدداً لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لم يعرج بعد ، و هو مع أهل البيت يسددهم »<sup>٤</sup> ، الخبر . و يظهر منهما أن إحاطة السماء الأولى بالأرض من قبيل إحاطة الباطن بالظاهر ، لا كما يقولون من إحاطة الفلك.

#### [أقسام و حقيقة الملائكة]

و أمّا الكلام فى الملائكة ، فوجودهم من ضروريات الاسلام ؛ و يمكن أن يقال : إن الامر كذلك فى الجملة فى سائر الملل . و قد استفاضت الأخبار بأنهم أكثر خلق الله أصنافاً و أفراداً ؛ و استقصاء أصنافهم تفصيلاً خارج عن العهدة ، لكن يجمعهم أقسام ثلاث :

القسم الاول : الملائكة المهيمون ، و هم الوالهيون فى عظمة الله سبحانه ، لا يشعرون بشيء و لا بأنفسهم . ففى البصائر عن أبى عبدالله عليه السلام قال : « إن الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأوّل ، جعلهم الله خلف العرش ، لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم . ثم قال عليه السلام : إن موسى لما سأل ربه ما سأل ، أمر واحداً من الكروبيين ، فتجلى للجبل ، فجعله دكاً »<sup>٥</sup> ، الحديث .

<sup>١</sup> - الانعام: ٧٥.

<sup>٢</sup> - بصائر الدرجات: الجزء الثامن ص ٤٠٤ و ٤٠٥ ح ٤

<sup>٣</sup> - بحار الانوار: ج ٩٤ ص ١٨٢ ح ١٨.

<sup>٤</sup> - بحار الانوار: ج ٢٥ ص ٥٩-٦١.

<sup>٥</sup> - بحار الانوار: ج ٥٥٦ ص ١٨٤ ح ٢٦.

و أنت بعد التدبّر فى قوله : ( فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ )<sup>١</sup> الآية ، والروايات التى فى موردّها ، تقضى بأنّ هذه الملائكة فانون فى الله سبحانه ، لا يشعرون بغيره ، و ليس لهم إلّا الله سبحانه .  
و قوله عليه السلام : « جعلهم الله خلف العرش ... » يؤمى اليه ؛ فانّ العرش هو عالم التدبير و القضاء و القدر ، اليه ينتهى التفاصيل و الأحكام؛ فلا أثر خلفه من ذلك البتة.  
و فى الخبر أيضاً : « انّ العالين قوم من الملائكة ، لا يلتفتون الى غير الله ، و لم يؤمروا بالسجود لآدم ، و لم يشعروا أنّ الله خلق العالم و لا آدم » .

القسم الثانى : الملائكة المتعبّدون المتنسّكون ، فى النهج فى خطبة له عليه السلام : « ثمّ فتق ما بين السماوات العلى ، فملاهنّ اطواراً من ملائكته ، منهم سجود لا يركعون ، و ركوع لا ينتصبون ، و صافّون لا يتزايلون ، و مسبّحون لا يسأمون ، لا يغشاهم نوم العيون ، و لا سهو العقول ، و لا فترة الأبدان ، و لا غفلة النسيان »<sup>٢</sup> ، الخطبة . و هذا المعنى مروىّ مستفيضاً .

القسم الثالث: الملائكة العمّالة الموكّلون بالعالم من حملة العرش و الكرسي ، و الموكّلين بالسماوات و الشمس و القمر و النجوم و الليل و النهار و الجوّ و السحاب و الأمطار و الرعد و البرق و الصواعق و الشهب و الرياح و الأرض و العناصر و البحار و الحبار و الأودية و النبات و الحيوان و الانسان و الأعمال و الأزمان و الأمكنة و الحياة و الرزق و الموت و البرزخ و الحشرو الجنة و النار و غير ذلك ، حتى يظهر من بعض الأخبار عموم و ساطتها لجميع جزئيات جهات العالم من الذوات الأعيان و آثارها ؛ و قد تقدّم بعضها فى الكلام على اللوح و القلم .

و هذا القسم بنفسه طبقات مختلفة ، من آمر و مأمور ، و رئيس و مرؤوس فى كلّ عمل موكّل به ؛ و منهم جبرائيل و ميكائيل و اسرافيل و عزرائيل .

و اعلم أنّ أصناف الملائكة كلّهم معصومون بنصّ القرآن و تواتر الأخبار ، غير ما فى بعض أخبار قصة « هاروت و ماروت » و قد ردّه أخبار آخر ؛ و ما فى خبر واحد عامى من قصة « دردايل » ، و فى آخر من قصة « فطرس » و هى على أنّها آحاد مجمّلة .

<sup>١</sup> - الاعراف: ١٤٣ .

<sup>٢</sup> - نهج البلاغة: خطبة ١ ص ٤١ .

و الغرض فى المقام بىان أنّ هذه الأصناف موجودات مفارقة للمادة ، بىن مثالى و مجرد تام ؛ و البرهان المذكور فى أوّل الرسالة ىثبت هاهنا أنّ لكلّ من موجودات عالمنا المادى مرتبة من المثال و مرتبة من العقل ، هما فى طوله ؛ و هو المطلوب . و فى الآيات و الأخبار شواهد على ذلك .

منها قوله تعالى: ( قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ )<sup>١</sup> .

و قوله تعالى : ( نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ )<sup>٢</sup> .

و قوله تعالى : ( مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى \* أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى )<sup>٣</sup> .

و من المعلوم أنّ هذا القلب لىس المراد به اللحم الصنوبرى المعلق عن يسار المعدة ، بل هو الذى يفهم و يعقل ، و هو النفس ؛ فنزوله على القلب لا يستقيم إلّا مع كون وجود النازل مجرداً فى الجملة ، كوجود المعنى .

و قوله تعالى : ( وَ قَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ \* وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَ لَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ )<sup>٤</sup> الآية ، و مثلها آيات أخر ؛ إذ ظاهرها أنّ إنزال الملك بلباسه الملكى و وجوده الملكوتى ملازم لقضاء الأمر و عدم الإنظار و دخول الناس فى نشأة مابعد الموت ، حتى يتسانخوا و يتجانسوا مع الملائكة ؛ و تلك نشأة مفارقة للمادة ، فوجود الملائكة منها ، فهى مفارقة .

( ما ورد فى الروايات فى معنى الروح )

و منها : ما ورد فى الأرواح ، فى البصائر مسنداً عن الحلبي ، عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى : ( يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي )<sup>٥</sup> قال : « انّ الله تبارك و تعالى أحدٌ صمدٌ ، و الصّمد الذى لىس له جوف ؛ و أنّما الروح خلق من خلقه ، له بصر و قوة و تأييد ، يجعله الله فى قلوب الرسل و المؤمنين »<sup>٦</sup> .

و فىه مسنداً عن الحسن بن ابراهيم عن أبى عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام ، قال : سألته عن علم العالم فقال: «ان فى الأنبياء و الأوصياء خمسة أرواح : روح البدن ، و روح القدس ، و روح القوة ، و روح

<sup>١</sup> - البقرة: ٩٧ .

<sup>٢</sup> - الشعراء: ١٩٣ و ١٩٤ .

<sup>٣</sup> - النجم: ١١ و ١٢ .

<sup>٤</sup> - الأنعام: ٨ و ٩ .

<sup>٥</sup> - الاسراء: ٨٥ .

<sup>٦</sup> - بصائر الدرجات: الجزء التاسع ب ١٨ ص ٤٦٧ ح ٣ .

الشهوة ، وروح الإيمان؛ و فى المؤمنين أربعة أرواح : أنما فقدوا روح القدس : روح البدن ، و روح القوة ، و روح الشهوة ، و روح الإيمان ؛ و فى الكفار ثلاثة أرواح : روح البدن ، و روح القوة ، و روح الشهوة . ثم قال : و روح الإيمان يلزم الجسد ، ما لم يعمل بكبيرة ؛ فإذا عمل بكبيرة فارقه الروح ؛ و روح القدس من سكن فيه فإنه لا يعمل بكبيرة أبداً <sup>١</sup> »

و فى الكافى مسنداً عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام ، قال : « إن للقلب أذنين ، فإذا همَّ العبد بذنب قال له روح الإيمان : لا تفعل ؛ و قال له الشيطان : افعل ؛ و إذا كان على بطنها نزع منه روح الإيمان <sup>٢</sup> » ، الحديث .

يشير عليه عليه السلام الى الزنا.

و فى الكافى مسنداً عن حماد عن أبى عبدالله عليه السلام ، قال : « ما من قلب إلّا و له أذنان ؛ على إحداهما ملك مرشد، و على الأخرى شيطان مفتن . هذا يأمره ، و هذا يزجره ؛ الشيطان يأمره بالمعاصى ، و الملك يزجره عنها . و ذلك قول الله عزّ وجلّ : (عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ\* ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ) <sup>٣</sup> » ، الحديث .

قوله عليه السلام : « و ذلك قول الله عزّ وجلّ .. الى آخره » ، يظهر منه أن مراده تعالى من قعودهما عن اليمين والشمال قعودهما عن يمين القلب و شماله ، أى النفس و سعادته و شقاوته ؛ كونه ذا أذنين باعتبار سمعه و طاعته لآمر الخير و أمر الشر .

قوله عليه السلام فى خبر أبى بصير : « نزع منه .. الى آخره » ، و نظير هذه العبارة فى انتزاع روح الإيمان وارد فى الأخبار كثيراً ، يلوح منه أن لها اتحاداً ما بالفنسى ، فهى مقومات لجهات النفس . و يظهر من ضمّ الخبرين الأخيرين أن روح الإيمان مع ملك؛ و يدلّ عليه ما فى الكافى و تفسير العياشى عن الصادق عليه السلام : « ما من مؤمن إلّا و لقلبه أذنان فى جوفه ؛ أذنٌ ينفث فيها الوسواس الخناس ، أذنٌ ينفث فيها الملك؛ فيؤيد الله المؤمن المملك؛ فذلك قوله تعالى : ( وَ أَيْدُهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ) <sup>٤</sup> » ، الخبر .

<sup>١</sup> - بصائر الدرجات: الجزء التاسع ب ١٨ ص ٤٦٧ ح ٣.

<sup>٢</sup> - الكافى: ج ٢ ب ١٠٩ ص ٢٦٧ ح ٢.

<sup>٣</sup> - الكافى: ج ٢ ب ١٠٩ ص ٢٦٦ ح ١.

<sup>٤</sup> - الكافى: ج ٢ ب ١٠٩ ص ٢٦٧ ح ٣، و تفسير العياشى: ج ١ ص ٣٢١ ح ١١٠.

و كذا ما فى الأخبار الكثيرة : « إنَّ روح القدس ملك و ربّما أيد المؤمن » . و بالجملة فمن المعلوم أن ليس فى قلوبنا حين الهمّ بالحسنة أو السيئة إلّا خطرات تخطر ؛ و هى كلام نفسى لنا ، و هى بعينها كلام ملك أو شيطان ، و الكلام واحد بعينه ؛ فمتكلّمه واحد بعينه ؛ فلو كان الملك الذى يكلمنا أمراً مادياً لكان اللازم اتحاد الاثنين ، و هو محال ؛ فليس إلّا أنه موجود مثالى ؛ و لا يلزم من ذلك الاتحاد المستحيل ، لكون أحدهما فى طول الآخر ، فافهم . و هذا الوجه ناهض فى مثالية الشيطان المفتن أيضاً .

و منها : ما ورد مستفيضاً فى أخبار البرزخ ، من وجود ملائكة موكلّة بروح الإنسان بعد موته فى البرزخ ، كمنكر و نكير ، و مبشر و بشير ، و ملائكة جنته و ناره ، و الصاعدين بروحه ، و حيث إنّ البرزخ مثال فهى مثالية .

و منه : الأخبار الواردة فى غريب خلقهم و عجيب شأنهم ؛ ففى نهج البلاغة فى خطبة له عليه السلام فى الملائكة : « و منهم الثابتة فى الارضين السفلى أقدامهم ، و المارقة من السماء العليا أعناقهم ، و الخارجة من الأقطار أركانهم ، و المناسبة لقوائم العرش أكتافهم »<sup>١</sup> ، الخطبة .

و فى تفسير القمى مسنداً عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال : « كان بينا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم جالساً ، و عنده جبرئيل ، إذ حانت من جبرئيل [نظرة] قبل السماء ، فانتقع لونه حتّى صار كأنه كركم ، ثمّ لاذ برسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم ، فنظر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم الى حيث نظر جبرئيل ، فإذا شى قد ملأ بين الخافقين مقبلاً حتّى كان كقاب من الأرض ، الى أن قال : قال ( يعنى جبرئيل ) : هذا اسرافيل حاجب الربّ »<sup>٢</sup> ، الخبر .

و فى التوحيد عن الصادق عليه السلام ، أنه سُئل عن قوله تعالى : ( لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى )<sup>٣</sup> ، فقال : « رأى جبرئيل على ساقه الدرّ ، مثل القطر على البقل ، له ستمائة جناح قد ملأ ما بين السماء والأرض »<sup>٤</sup> ، الحديث .

<sup>١</sup> - نهج البلاغة: خطبة ١ ص ٤١ .

<sup>٢</sup> - تفسير القمى : سورة بنى اسرائيل الآية ٨٠-٩٥ ص ٢٧ ، بحار الانوار : ج ٥٦ ص ٢٥٠ ح ٨ .

<sup>٣</sup> - النجم : ١٨ .

<sup>٤</sup> - التوحيد : ب ٨ ص ١١٦ ح ١٨ .

والروايات وردت أكثر من أن تحصى فى نزولهم و اختلافهم، و أنّ منهم سكنة الهواء والأرض و الأماكن المقدّسة آفاً آفاً، و أنّهم ينزلون مع قطرات الأمطار و مع كلّ شخص و كلّ عمل، و فى ليلة القدر ألوف من الملائكة، لا يحصى عددهم إلّا الله سبحانه .

ومساق هذه الأخبار و الآثار يأبى أن نقول : إنّ لاختلاف موجودات عالمنا و تقلّباتها و انقلاباتها تأثيراً فيهم، فلا يوطئون بالأقدام، ولا يضغطون، و لا تخرق حركات الأجسام أبدانهم، مع أنّهم قد ملأوا الفضاء و السطح؛ مع أنّ الضرورة تقضى بالمزاحمة بين المادّيات و الجسمانيات؛ و لا يصرون، و لا يلمسون، و لا يحسّ بهم، و لا غير ذلك من أحكام المادّيات؛ فليسوا بالأجسام المادّية، و أنّما للمادّيات نسبة إليهم.

هذا و ما ربّما يقال : إنّ الله سبحانه قادر أن يصرف المادّيات عنها، فلا تحسّ بها و لاتزاحمها، و يجعل القوّة على رؤيتهم و الارتباط بهم فى بعض أشخاص الانسان كالأنبياء عليهم السلام، فيختصّوا برؤيتهم و كلامهم مثلاً، فكلام يشبه بظاهره كلام المسلمّين من المسلمين، و بباطنه يهدم أساس الدين؛ إذ لو جاز مثل هذا الخطأ العظيم فى الحسّ و لم يثبت لنا نبى و لا كتاب و لا شرع و لا اعجاز و لحقنا بالسوفسطائية و لم يثبت توحيد حتّى تصل النبوة الى الكلام فى الملائكة، على أنّ الضرورة تدفعه .

و ما أثبتنا فى محلّه من الخطأ فى الحسّ أنّما هو الخطأ فى الحكم الذى معه، لافى المحسوس الحاصل عند الحس؛ فما نراه من صغر النجوم مثلاً فالذى عند الحس من نقطة بيضاء هو هذا القدر، و هو ضرورىٌ بديهىٌ؛ و الخطأ أنّما هو فى حكمنا أنّ النجم فى نفسه على هذا المقدار من الحجم، على ما يثبتته أحكام الزوايا المثلثية من حجمها.

و منها : الأخبار الكثيرة الواردة فى عصمتهم الذاتى، و قد قال تعالى : ( بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ \* لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ )<sup>١</sup>، و قال تعالى : ( فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ )<sup>٢</sup>، الآيه؛ فمن المعلوم أن لو كانت فيهم مادّة، و هى حاملة للقوّة و الإمكان و أفعالهم صادرة عن علم، كان ذلك منهم اختيارياً متساوى الوجود و العدم، كالانسان؛ و لم يكونوا مجبولين على الطاعة، و لاستوجبوا بالطاعة مزيد الثواب، مع أنّ العمالة منهم عمالة الى أبد الآبدين، من قبل و فى الدنيا و الآخرة و فى الجنّة و النار.

<sup>١</sup> - الانبياء: ٢٦ و ٢٧.

<sup>٢</sup> - فصلت: ٣٨.

ومنها : ماورد أنّ طعامهم التسبيح ، و شرايهم التهليل ، أى أنّ قوام وجودهم الخارجى بالتوحيد التنزيه ؛ و أمّا الحمد والتشبيه فلم يرد فيه نصّ غير ما فى قوله تعالى : ( وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ )<sup>١</sup> ، و لم يرد « ويحمدون » ، و وجهه واضح عند العارف بالحقائق .

و فى رواية أخرى فى العلل لمحمد بن على بن إبراهيم ، سئل أبو عبدالله عليه السلام عن الملائكة يأكلون و يشربون و ينكحون ؟ قال « لا أنّهم يعيشون بنسيم العرش » . فقيل له : فما العلة فى نومهم ؟ فقال عليه السلام : « فرقاً بينهم و بين الله عزّوجلّ ؛ لأنّ الذى لاتأخذه سنة و لا نوم هو الله »<sup>٢</sup> ، الخبر .

و حديث نومهم وارد فى أحاديث أخر ، منها ما فى إكمال الدين مسنداً عن داود بن فرقد فى حديث حدّثه بعض أصحابه عن الصادق عليه السلام ، فقال عليه السلام : « ما من حىّ إلّا و هو ينام خلا الله وحده عزّوجلّ ، و الملائكة ينامون . فقلت : يقول الله ( يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ )<sup>٣</sup> ؟ قال : أنفاسهم تسبيح »<sup>٤</sup> ، الخبر .

و قد مرّ فى أوّل الكلام قول على عليه السلام : « لا يغشا هم نوم العيون » الخبّبة ؛ فلو صحّت هذه الأخبار كان المراد من نومهم ما هو مثل قوله عليه السلام : « الناس نيام ، فإذا ما توا انتبهوا »<sup>٥</sup> ؛ و ما ورد مستفيضاً فى أخبار البرزخ ، كما فى الكافى مسنداً عن سالم عن أبى عبدالله عليه السلام فى حديث : « ثمّ تؤخذ روحه ، فتوضع فى الجنّة حيث رأى منزله ، ثمّ يقال له : نم قير العين ؛ فلاتزال نفحة من الجنّة تصيب جسده يجد لذّتها و طيبها حتّى يُبعث »<sup>٦</sup> ، الحديث .

و جملة المعنى أنّ نسبة جنّة الآخرة الى البرزخ ، و كذلك نسبة البرزخ الى الدنيا كنسبة اليقظة الى النوم ؛ و كذا فى الملائكة نوم غير نوم العيون و غفلة العقول ، نسبتته الى ما عليه الحقّ سبحانه نسبة النوم الى اليقظة ؛ فمن فقد شيئاً فقد نام عنه . والحاصل أنّ تعيّنهم بنسيم العرش ، و هو التسبيح والتهليل ؛ و قد عرفت أنّ العرش ما هو . أنّما هو مشاهدة التوحيد و التنزيه ؛ فبه قوام وجودهم ؛ فحجاب المادّة ليس مضرّوباً دونهم .

<sup>١</sup> - الرعد: ١٣ .

<sup>٢</sup> - بحار الانوار: ج ٥٥٦ ص ١٩٣ .

<sup>٣</sup> - الانبياء: ٢٠ .

<sup>٤</sup> - بحار الانوار: ج ٥٥٦ ص ١٨٥ .

<sup>٥</sup> - مائة كلمة جاحظ: ح ٢ .

<sup>٦</sup> - الكافى: ج ٣ كتاب الجائز ص ٢٤٢ ح ١ .



و فى كتاب الدرر و الغرر للآمدى عن المناقب : و سُئِلَ - يعنى علياً عليه السلام - عن العالم العلوى ؛ فقال : « صور عارية من المواد ، خالية عن القوة و الاستعداد ؛ تجلّى لها فأشرقت ؛ و طالعتها فتلاّت ؛ وألقى فى هويتها مثاله ، فأظهر عنها أفعاله »<sup>١</sup> ، الحديث . و هاهنا مباحث آخر ربما تعرّضنا لبعضها فى الكلام على الشيطان ، على حسب ما يسوغه المجال .

### [الكلام فى حقيقه الشيطان]

و أمّا الكلام فى الشيطان ، فهو أيضاً من ضروريات هذا الدين ، بل سائر الملل . و قد تواترت الآثار و تكرّر فى القرآن إثبات خصوصيات عجيبة لهذا المخلوق . و الكلام الجامع فيه أن نقول : كما أن الإسلام يثبت وراء الحسنّ موجودات كثيرة موكّلة بجميع جهات العالم ، تدعو الى الخيرات ، و تهدى الى الحسنات ، و تفيض البركات ، و سمّتها الملائكة ، فالملك موجود غير محسوس له مبدئية ما للخيرات و الحسنات و البركات ؛ كذلك يثبت وراء الحسنّ موجودات أخرى موكّلة بالإنسان و غيره ، تدعو الى الشرور ، و تهدى الى كلّ معصية و مخالفة ، يسمّيها الشيطان و ذرّيته ، فالشيطان موجود غير محسوس له مبدئية ما للشرور و المعاصى .

أقول : إذا فرضنا معصية ما فهى مخالفة ، و المخالفة لا يتحقّق إلّا مع تصوّر موافقّ فى محلّها و اطاعة ؛ و الموافقة بالطاعة لا تكون بشباهة الفعل بالفعل ، بل بمطابقة الفعل لما يريدّه أمر بأمراً مثلاً ؛ و الأمر اللفظى أنّما هو لإيصال الأمر الى المأمور ، لا لموضوعية له فى نفسه بالضرورة . و لذا كان الأمر العقلى كالأمر اللفظى ؛ و الأمر أمرٌ اعتبارى ، اعتبر للتوصّل الى وجود فعل مراد من الغير بالبعث و التحريك الاعتبارى للمأمور الى المأمور به . و إرادة الفعل لا تكون إلّا بمحبّة تامّة ، فالذى يصدر عن الفاعل المطيع أنّما هو الذى يحبّه الأمر من حيث إنّه يحبّه ، و إلّا لم يكن موافقة ؛ أى أنّ علم الفاعل فى إرادته الفعل أنّما تعلّق بالفعل بما أنّ الأمر يحبّه ، أى بمحبة الأمر مشاهداتاً تعلّقها بالفعل و وجودها فى الفعل . و حيث إنّ العلم متّحد بالمعلوم فمنشأ الفعل إرادة الأمر التى عند الفاعل ؛ فهذا الفعل أنّما تحقّق بفناء إرادة الفاعل فى إرادة الأمر . و حيث إنّ الفعل أثر الفاعل ، و وجوده رابط غير مستقل بالنسبة الى الذات ، فللذات وجود ما فى مرتبته؛ ففناء الإرادة فى الإرادة يستلزم فناء ما للذات فى الذات فى هذه المرتبة؛ فيختلف الفناء المذكور باختلاف الأفعال ؛ فهناك فناءات مختلفة بالنسبة الى الأفعال المختلفة و الطاعات المتشتمّة.

<sup>١</sup> - الدرر و الغرر: ج ٤ ص ٢١٨ .

و مثل البرهان يثبت في جانب المعصية أن المعصية لا تتحقق إلا بأنانية بالنسبة الى ذات الأمر بوجه ما ؛ و هي خلاف الفناء ، أى الغفلة عن ذات الأمر و توجه الأمور الى ذات نفسه.

و حيث إن الكلام في اطاعة الحق سبحانه و معصيته ، و لا ذات موجودة بالاستقلال إلا ذاته ، فالتوجه الى ذات أخرى غير متصورة هناك ، بل هي الغفلة عن أنه هو به ، لا عن هو البسيط ، فإنه غير متحقق البتة. فقد تحقق أن المعاصي بجميع أنحاءها لا تتحقق إلا مع الغفلة عن الحق سبحانه و دعوى الأنانية ؛ و تختلف أقسام هذه الدعاوى باختلاف أقسام الأفعال التي هي معاصي اختلافًا شديداً . فهذا هو المتحقق في مرتبتنا الطبيعية ، و لها بالضرورة مثل في مرتبة المثال ، نسبتها في الكليته و الجزئية و المنشأية و التولد نسبة ما في عالم الطبيعة ، بمقتضى ما مر من البرهان في أول الرسالة . فهي موجودات متقدمة عليها بوجه ، أحياء في أنفسها ، لها مبدئية ما بالنسبة الى ما في عالم الطبيعة من ممثلاتها ؛ و هذا الموجود غير المحسوس الذي هو مبدأ عام للمعاصي مع المبادئ الجزئية التي لها هو الذي نسميه بالشیطان و ذريته. هذا ما سنع ببالى من البرهان على وجوده، و لم أجد مجال المراجعة الى كتب القوم ، فما أدرى هل سبقنى اليه أحد ، أو جاء ببرهان غير هذا. و منه يتبين معانى عامة ماورد في خصوصيات وجوده و ذريته و حالاتهم و كيفية و ساوسهم و غير ذلك.

ومن البرهان يظهر وجه عدم سجده لعنه الله لآدم ، لأنه غير خاضع لذات الانسان النورية التي هي خليفة الله في أرضه، لأن ذاته قائمة بالأنانية . و قد ورد في الخبر: « إن أول من قال أنا، إبليس ، و أنه إنما استحق اللعن بذلك »<sup>١</sup> . قال تعالى : ( إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ \* فَاذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ \* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ \* إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ )<sup>٢</sup> ، و يظهر مما مر أنه لعنه الله كماله يسجد لذريته أيضاً ، و شاهد ذلك قوله تعالى : ( وَ لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ )<sup>٣</sup> ، الآية .

و كما أنه لم يسجد هو لعنه الله ، لم يسجد ذريته أيضاً ، ففي نهج البلاغة في خطبة له عليه السلام في صفة خلق آدم عليه السلام : « واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم، و عهد وصيته اليهم في الإذعان

<sup>١</sup> - العلل: باب ٥٤ ج ١ ص ٦٢ ح ١.

<sup>٢</sup> - ص: ٧١-٧٤.

<sup>٣</sup> - الاعراف: ١١.

بالسجود له ، والخشوع<sup>١</sup> لتكريمته، فقال سبحانه : ( اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ )<sup>٢</sup> اعترته الحمية ، و غلبت عليه الشقوة<sup>٣</sup> ، الخطبة. و يستفاد هذا المعنى من قوله سبحانه : ( إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ )<sup>٤</sup> ، الآية.

و من البرهان يظهر أن التخلص<sup>٥</sup> منه لعنه الله بالكلية لا يتحقق إلا مع الخلوص لله سبحانه ؛ قال سبحانه حكاية عن ابليس حين رجيم و انظر قال تعالى: ( فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ )<sup>٦</sup> و هم الذين اخلصوا لله ، بالبناء للمجهول ، فلا يبقى غاية لهم ، إما ذاتاً أو اسماً أو فعلاً فقط ، إلا الله سبحانه ، و هو الخلوص بأحد وجوهه . و ذلك لأنه يرتفع موضوع الوسوسة حينئذٍ ، و هو الأنانية والغفلة عن الحق سبحانه. و ذلك قوله عليه السلام : « إنَّ شَيْطَانِي أَسْلَمَ عَلَى يَدِي »<sup>٧</sup> ، و فى رواية « قتلته »<sup>٨</sup> ، و فى رواية عن الصادق عليه السلام « على أن الشيطان لا يتعرَّض بنا »<sup>٩</sup> ، هذا .

هذا و أمّا وقوع الخطأ، و هو مخالفة الأمر الإرشادى دون المولى منه و ترك الأولى ، من الأنبياء فقد صرح به القرآن الكريم و تواترت به الأخبار ؛ قال تعالى فى آدم و حواء : ( فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ )<sup>١٠</sup> ، الآية ؛ و كذا فى سائر الأنبياء ؛ و كذلك وقوع الخطأ الخالى ، قال تعالى : ( وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا )<sup>١١</sup> ، الآية . و قال تعالى حكاية عن فتى موسى ، و هو يوشع ، فى قصة الحوت : ( وَ مَا أَنْسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ )<sup>١٢</sup> ، الآية . و قال تعالى حكاية عن أيوب عليه السلام : ( أَنَّى مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَ عَذَابٍ )<sup>١٣</sup> . و يتبين ممّا مرّ من الأمثلة أن عمدة تصرفاته لعنه الله فى هذا العالم الطبيعى على ثلاثة أقسام:

<sup>١</sup> - فى المصدر: «الخنوع».

<sup>٢</sup> - فى المصدر: «إلا إبليس، اعترته الحمية و غلبت عليه الشقوة».

<sup>٣</sup> - نهج البلاغة: خطبة ١ ص ٤٢.

<sup>٤</sup> - الاعراف: ٢٧.

<sup>٥</sup> - فى الاصل: «المخلص».

<sup>٦</sup> - ص: ٨٢ و ٨٣.

<sup>٧</sup> - كنز العمال: الفصل الرابع فى الشيطان و وسوسته ج ١ ص ٢٤٧ ح ١٢٤٣.

<sup>٨</sup> - لم نعر عليها.

<sup>٩</sup> - لم نعر عليها.

<sup>١٠</sup> - البقرة: ٣٦.

<sup>١١</sup> - الاعراف: ١٥٥.

<sup>١٢</sup> - الكهف: ٦٣.

<sup>١٣</sup> - ص: ٤١.

القسم الأول : تصرفه في الانسان بالسوسة في صدره والإلقاء في قلبه ، قال تعالى : ( وَ إِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ )<sup>١</sup> ، و قال تعالى : ( مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ \* الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ )<sup>٢</sup> و الخناس اسم للشيطان الموكل على الناس ، كما في الأخبار . و قد مرَّ رواية الكافي في هذا المعنى .  
و هذا القسم هو الذي عصم منه المعصومون من الأنبياء و الأولياء ، و لذلك لو تحقَّق منه لعنه الله و سوسة لهم كان ذلك بالظهور و التجسّم لهم؛ كما ورد أخبار كثيرة في قصص نوح و ابراهيم و اسماعيل و موسى و عيسى و يحيى و نبيِّنا عليهم السلام في هذا المعنى .

القسم الثاني : تصرفه لعنه الله في الإنسان غير قلبه ، كأعضائه مثلاً ؛ كما في قصة أيوب و مرضه مرضاً شديداً . و هذا في غير المعصومين من الأولياء مقدّمة للقسم الاول ، و فيهم ينتج ايذاءً .

القسم الثالث: تصرفه لعنه الله في غير الانسان من الأمور الخارجة عنه ، قال تعالى : ( قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ )<sup>٣</sup> ، الأخبار في هذا الباب أكثر من أن تُحصى .

كما في الكافي بإسناده عن علي عليه السلام ، قال : « قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ : « لا تؤوا منديل اللحم في البيت، فإنه مريض الشيطان ؛ و لاتؤوا التراب خلف الباب ، فإنه مأوى الشيطان »<sup>٤</sup> ، الخبر .

و فيه مسنداً عن الصادق عليه السلام : « إنَّ على ذُرُوة كلِّ جسر شيطاناً ، فإذا انتهيت إليه فقل : بسم الله ، يرحل عنك »<sup>٥</sup> .

و في أخبار كثيرة : أنه لعنه الله تصرف في العنب و الكرمة و النخلة ، و في أخبار كثيرة : أنه لعنه الله يتصرف في النطفة و المأكَل و المشرب الملبس و المسكن، إذا لم يذكر اسم الله عليه .

و في الكافي مسنداً عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ : « بيت الشيطان من بيوتكم بيت العنكبوت »<sup>٦</sup> .

<sup>١</sup> - الانعام: ١٢١ .

<sup>٢</sup> - الناس: ٥ و ٤ .

<sup>٣</sup> - الحجر: ٣٩ .

<sup>٤</sup> - راجع بحار الانوار: ج ٦ ص ١٩٩ ح ١٥ ، و لم نجده بتمامه في الكافي بل وجدنا الحكم الأول منه في : ج ٦ ص ٢٩٩ ح ١٨ و الحكم الثاني في : ج ٦ ص ٥٣١ ح ٦ مع اختلاف يسير .

<sup>٥</sup> - الكافي: ج ٤ ص ٢٨٧ ح ٣ .

<sup>٦</sup> - الكافي: ج ٦ ص ٥٣٢ ح ١١ .

و فى الكافى أيضاً مسنداً عن أحدهما عليهما السلام قال : « لاتشرب و أنت قائم ، و لاتبل فى ماء نفيح <sup>١</sup> ، و لاتطف بقبر، و لا تخل فى بيت وحدك ، و لاتمش بنعل واحدة <sup>٢</sup> ، فانّ الشيطان أسرع ما يكون الى العبد إذا كان على بعض هذه الأحوال » <sup>٣</sup>. الى غير ذلك من نظائرها التى وردت فى الشريعة . و هذا القسم أيضاً مقدّمة للقسم الأوّل من تصرفاته لعنه الله.

و من البرهان المذكور يظهر أيضاً أنّ الشياطين مفارقة الوجود للمادّة ؛ و الوجوه المذكورة فى تجرّد الملائكة غير الوجه الأخير منها جارٍ فى الشياطين بعينها . قال تعالى : ( يَعِدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ) <sup>٤</sup>.

و قال تعالى : ( وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ) <sup>٥</sup>.

و قال تعالى : ( وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ) <sup>٦</sup>.

و قال تعالى : ( لَأَقْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَأَنْتَبِهَنَّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ) <sup>٧</sup>.

و قال تعالى : ( إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ) <sup>٨</sup>.

و قال تعالى : ( الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ) <sup>٩</sup>.

و قال تعالى : ( كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ ) <sup>١٠</sup>، الآيات . و أمثال الأخبار التى أوردناها فى الكلام على الملائكة واردة فى هذا المقام ، و لا نطيل بالإيراد و البيان ، بل الأخبار الواردة هاهنا أوضح دلالة من هناك ، لأنّ كثيراً من تصرفاته الواردة بتمثيل جسمانى مفسر هاهنا، بخلافه هناك.

<sup>١</sup> - فى المصدر: «نقيح».

<sup>٢</sup> - فى المصدر: «فى نعل واحد».

<sup>٣</sup> - الكافى: ج ٦ ص ٥٣٤ ح ٨.

<sup>٤</sup> - النساء: ١٢٠.

<sup>٥</sup> - الانعام: ١٢١.

<sup>٦</sup> - البقرة: ١٦٨.

<sup>٧</sup> - الاعراف: ١٦ و ١٧.

<sup>٨</sup> - الاعراف: ٢٧.

<sup>٩</sup> - محمّد(ص): ٢٥.

<sup>١٠</sup> - الحشر: ١٦.

كما فى المحاسن عن الرضا، عن آباءه، عن على عليهم السلام فى حديث: « فَأَمَّا كحلّه فالنوم ، و أمّا سفوفه فالغضب ، و أمّا لعوقة فالكذب »<sup>١</sup>.

و فى الكافى مسنداً عن أبى جعفر عليه السلام : « إنَّ هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد فى قلب ابن آدم »<sup>٢</sup>.

و عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم : « إنَّ الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع »<sup>٣</sup>.

و فى الخبر : « إنَّ موسى عليه السلام رآه ، و عليه برنس ، فسأله عن برنسه؛ فقال لعنه الله: به أصطاد قلوب بنى آدم »<sup>٤</sup>.

و فى مجالس ابن الشيخ مسنداً عن الرضا، عن آباءه عليهم السلام : « إنَّ ابليس كان يأتى الأنبياء من لدن آدم الى أن بعث الله المسيح عليه السلام ، يتحدّث عندهم ، ويسألهم. و لم يكن بأحد منهم أشدَّ أنساً منه بيحى بن زكريا.

فقال له يحيى عليه السلام : يا أبا مرّة إنَّ لى اليك حاجة.

فقال له : أنت أعظم قدراً من أن اردك بمسألة فاسألنى ما شئت ، فإننى غير مخالفك فى أمر تريده.

فقال يحيى : يا أبا مرّة، أحبّ أن تعرض علىّ مصائدك و فخوخك التى تصطاد بها بنى آدم.

فقال له ابليس : حباً و كرامةً . و واعد له غدٍ، فلمّا أصبح يحيى قعد فى بيته ينتظر الوعد ، أغلق عليه الباب اغلاقاً ؛ فما شعر حتى ساواه من خوخة كانت فى بيته ؛ فإذا وجهه صورة وجه القرد، و جسده على صورة الخنزير، و إذا عيناه مشقوقتان طولاً ، و إذا اسنانه و فمه مشقوقات<sup>٥</sup> طولاً عظماً واحداً بلاذقن و لا لحية ، و له أربعة أيديّ، يدان فى صدره ، و يدان فى منكبه ، و إذا عراقبيه قوادمه ، و أصابعه خلفه ، و عليه قباء و قد شدّ وسطه بمنطقة فيها خيوط معلّقة بين أحمر و أصفر و أخضر و جميع الألوان ، و إذا بيده جرس عظيم ، و على رأسه بيضة ، و إذا فى البيضة حديدة معلّقة شبيهة بالكلاب .

فلمّا تأمّله يحيى عليه السلام قال له : ما هذه المنطقة التى فى وسطك ؟

<sup>١</sup> - بحار الانوار: ج ٦٠ ص ٢١٧ ح ٥٣.

<sup>٢</sup> - الكافى: ج ٢ ب ١٢١ ص ٣٠٤ ح ١٢.

<sup>٣</sup> - بحار الانوار: ج ٦٠ ص ٢٦٨ ح ١٥٤.

<sup>٤</sup> - بحار الانوار: ج ٦٠ ص ٢٥١.

<sup>٥</sup> - فى المصدر: «مشقوقاً».

فقال : هذه المجوسية . أنا الذى سننتها و زينتها لهم .

فقال له : ما هذه الخطوط<sup>١</sup> الالوان ؟

قال : هذه جميع أصناع النساء ؛ لاتزال المرأة تصنع الصنيع حتى يقع مع لونها ، فأفتن الناس بها.

فقال له : فما هذا الجرس الذى بيدك ؟

قال : هذا مجمع كل لذة من طنبور و بربط و معزفة و طبل و ناى و صرناى ؛ و أن القوم ليجلسون على

شرابهم ، فلا يستلذونه ، فأحرّك الجرس فيما بينهم ، فإذا سمعوه استخفّ بهم<sup>٢</sup> الطرب ، فمن بين من

يرقص و من بين من يفرقع أصابعه و من بين من يشقّ ثيابه .

فقال له : و أى الأشياء أقرّ لعينك؟

قال : النساء ؛ هنّ فخوخى و مصائدى ، فأنى اذا اجتمعت علىّ دعوات الصالحين و لعناتهم صرت الى

النساء فطابت نفسى بهنّ .

فقال له يحيى عليها السلام : فما هذه البيضة التى على رأسك ؟

قال : بها أتوقى دعوة المؤمنين .

قال عليه السلام : فما هذه الحديدة التى أرى فيها ؟

قال : بهذه أقلب قلوب الصالحين .

قال يحيى عليه السلام : فهل ظفرت بى ساعة قطّ ؟

قال : لا ، ولكن فيك خصلة تعجبنى .

قال يحيى عليه السلام : فما هى ؟

قال : أنت رجل أكل ، فإذا أفطرت أكلت و بشتت [ونمت - خ] ، فيمنعك ذلك من بعض صلاتك و

قيامك بالليل .

قال يحيى عليه السلام : فإننى أعطى الله عهداً أنى لا أشبع من الطعام حتى ألقاه .

قال له ابليس : و أنا أعطى الله عهداً أنى لا أنصح مسلماً حتى ألقاه . ثمّ خرج فما عاد اليه بعد ذلك<sup>٣</sup> ،

الحديث .

<sup>١</sup> - فى المصدر: «خطوط».

<sup>٢</sup> - فى المصدر: «استخفهم».

<sup>٣</sup> - بحارالانوار: ج ٦٠ ص ٢٢٤ ح ٧٠.

و هو مروى عن طرق العامة أبسط من ذلك ؛ و الروايات فى أقسام اغوائاته و تزييناته عند أنواع المعاصى و الذنوب بتصويرات عجيبة فوق حد الإحصاء ؛ و كل ذلك يشهد أنّها تمثّلات مثالية منه لعنه الله غير مادّية. و بما تقرّر يندفع ما ذكره بعضهم : أنا إذا عملنا سيئة فلا نجد فى أنفسنا إلّا تصوّراً للفعل ، و تصديقاً و جزماً ، و إرادةً ، و تحريكاً للأعضاء بالعضلات ؛ و لم نجد أثراً لمؤثر آخر يسمّى شيطاناً ؛ فليس إلّا القوى المادّية و ميلها الى الشهوة و الغضب و الخواطر المنبثثة ؛ فالشيطان كناية عنها ، و الوسوسة كناية عن الخواطر من حيث وقوعها فى طريق الشرّ . و هذا الكلام يطّرد فى جانب الملك و إلهامه ، كما لا يخفى.

و وجه الاندفاع ظاهر ، إذ الشيطان و الملك فى طول الإنسان الطبيعى لا فى عرضه، حتّى يتوجّه ما ذكره. و من أجاب عنه بأنّ فعل الشيطان و الملك الذكر و التذكير، فلا يلزم ما أوردوه ، كأنّه غفل عن مائة أو ألوف من الأخبار و الآثار فى أقسام تصرفاته لعنه الله ، أو أنّه حمل جميعها على المجاز و الاستعارة و سائر الصنایع الشعرية ، و حاشا مقام أئمة الإسلام عن ذلك.

و من البرهان المذكور يظهر كيفية وجود الملائكة ، أعنى العمّالة منهم؛ و يظهر أيضاً أنّ ذات الإنسان كالمؤلّف من تصرفات ملكية أو شيطانية ، و ليس له ذات مستقل منحاز.

و من البرهان المذكور يظهر مع ملاحظة الأصول المقرّرة فى محلّها أنّه لعنه الله و جنوده ، و إن كان لهم تقدّم على هذه النشأة لتقدّم المثال على المادّة ، إلّا أنّ لهم تأخراً ما و تعيناً ما بالمادّة ، إذ تحقّق المعصية بأنواعها يحتاج الى تعيّن مادّى.

و من هنا ربّما يظهر وجه معنى شمول الخطاب بالسجدة لآدم عليه السلام لابليس لعنه الله ، مع أنّه لم يكن من الملائكة و الخطاب كان متوجّهاً اليهم ؛ و أنّه كان فى السماء، إذ لم يكن إذ ذاك أرض متعيّنة ، بل لم يكن الاسماء نورانية طاهرة ، و أنّما تعيّنّت الأرض بعد وقوع المعصية . قال سبحانه : ( قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَوْفُورًا )<sup>٢</sup> ، و قال سبحانه : ( وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ )<sup>٣</sup> ، الآية . فأرض آدم الأرض الطبيعية ، و أرض ابليس الأرض السابعة ؛ و الأرض مع ذلك أرض واحدة ، إذ الاختلاف بالبطن و الظهور لا يوجب الاختلاف حقيقة، كما

<sup>١</sup> - فى الاصل: «لميلها».

<sup>٢</sup> - الاسراء: ٦٣.

<sup>٣</sup> - البقرة: ٣٦.



هو ظاهر قوله تعالى : ( أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا )<sup>١</sup> ، الآية.

و من هنا ربّما يظهر معنى ما ورد مستفيضاً من أئمة أهل البيت عليهم السلام كما فى الكافى و تفسيرى القمى و العياشى بطرق متعدّدة : « إنَّ ابليس كان مع الملائكة و لم يكن منهم ، و كانت الملائكة ترى أنّه منهم »<sup>٢</sup> ، الخبر . و ذلك لعدم ظهور معصيته و مخالفته اذ ذاك .

و من هنا ربّما يظهر معنى تولّد ذريّته؛ قال تعالى : ( افْتَتَحْذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ )<sup>٣</sup> ، الآية .

و فى تفسير العياشى عن جابر عن النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم فى حديث : « فقال ابليس لعنه الله : ربّ هذا الذى كرّمت علىّ و فضّلته ، و ان لم تفضّل علىّ لم أقو عليه . قال : لا يولد له ولد الا و لد لك ولدان »<sup>٤</sup> ، الحديث . و هذا على سبيل التّكثير .

و يؤيّد ما فى تفسير العياشى مسنداً عن الصادق عليه السلام فى حديث ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : « الذى بعث محمّداً [بالحق] للعفاريت و الأبالسة على المؤمن أكثر من الزنابير على اللحم »<sup>٥</sup> ، الحديث . و فى الكافى مسنداً عن أبان عن الصادق عليه السلام ، قال : [انّ] لابليس عوناً يقال له تمريح ، اذا جاء الليل ملأ ما بين الخافقين »<sup>٦</sup> ، الحديث . و هو حديث غريب فى معناه .

و اعلم أنّ مثل هذا المعنى وارد فى الملائكة أيضاً و ان لم يعبر عنه فى الأخبار بالذريّة و التولّد؛ ففى الكافى مسنداً عن أبى جعفر عليه السلام ، قال : « إنّ فى الجنّة نهراً يغمس فيه جبرئيل كلّ غداة ، ثمّ يخرج منه ، فينتفض ، فيخلق الله عزّوجلّ من كلّ قطرة منه ملكاً »<sup>٧</sup> ، الحديث . و هو مروىّ فى حديث المعراج من طرق العامّة و الخاصّة ، و هذا المعنى كثير فى روايات العبادات أيضاً .

<sup>١</sup> - الانبياء: ٣٠ .

<sup>٢</sup> - الكافى: ج٢ ص٣٠٣ ، تفسير القمى: سورة البقرة ج١ ص٣٦ ، تفسير العياشى: سورة البقرة ج١ ص٣٤ ، بحار الانوار: ج٦ ص٢١٧ .

<sup>٣</sup> - الكهف: ٥٠ .

<sup>٤</sup> - تفسير العياشى: سورة النساء ج١ ص٢٧٦ ح٢٧٦ ، بحار الانوار: ج٦ ص٢٢٠ ح٥٨ .

<sup>٥</sup> - تفسير العياشى: سورة الاسراء ج٢ ص٣٠١ ح١١١ .

<sup>٦</sup> - الكافى ج٨ ص٢٣٢ ح٣٠٤ .

<sup>٧</sup> - المصدر السابق: ص٢٧٢ ح٤٠٤ .

و اعلم أنّ هذا المقابلة بين الملك و الشيطان يوضح معنى ما ورد: انّ الملك مخلوق من النور و الشيطان من النار ؛ قال تعالى: ( خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ )<sup>١</sup>، الآية . حكاية عنه لعنه الله.

و فى الكافى مسنداً عن داود الرقى عن أبى عبدالله عليه السلام ، قال : « إنّ الله عزّوجلّ خلق الملائكة من نور »<sup>٢</sup>، الخبر.

#### تتمة

و ممّا يتعلّق مجال الشياطين قضية رجمها بالشهب. قال تعالى: ( وَ لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَ زَيَّنَّاها لِلنَّاظِرِينَ \* وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ \* إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ )<sup>٣</sup>، الآيات .

و فى المجالس عن الصادق عليه السلام: « كان ابليس يخترق السماوات السبع ؛ فلما ولد عيسى حجب عن ثلاث سماوات ، و كان يخترق اربع سماوات ؛ فلما ولد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حجب عن السبع كلّها ، و رميت الشياطين بالنجوم »<sup>٤</sup>، الحديث. و مضمون الخبر مروى مشهور بين الفريقين .

و فى العلل مسنداً عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام ، قال : « إنّما كانت بلية أيّوب التى أبتلى بها فى الدنيا لنعمة أنعم الله بها عليه ، فأدى شكرها ؛ و كان ابليس فى ذلك الزمان لا يحجب دون العرش ، فلما صعد عمل أيّوب عليه السلام بأداء شكر النعمة حسده ابليس لعنه الله »<sup>٥</sup>، الخبر.

و يظهر من أنّ عروجه لعنه الله الى السماوات لم يكن منحصرأ فى سماع الأخبار عن الملائكة ؛ و قد ذكروا فى معنى هذه المسألة بعض الوجوه ، منها ما ذكره صدر المتألّهين قدس سرّه فى المفاتيح<sup>٦</sup> ، من أراداه فليرجع اليه .

و الذى يظهر من معناها بما يناسب البناء على ما مرّ من الأصول أن يقال: إنّ السماوات السبع و الأرضين السبع ما كانت منحازة فى زمن الأنبياء السابقين كلّ الانحياز، و لا كانت شرائعهم مستوعبة للأعمال النازلة من السماوات ، غير ما نزلت ممّا فوق السماء السابعة ، كأصل التوحيد و الولاية و النبوة و بعض ممّا دونها بحسب استعداد الأمم الماضية ؛ فلما تولّد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام منع ابليس لعنه الله من

<sup>١</sup> - الاعراف: ١٢.

<sup>٢</sup> - لم نجدّه فى الكافى بل وجدناه فى بحار الانوار: ج ٥٩ ص ١٩١ نقلاً عن الاختصاص و فيه «المعلّى بن محمد» بدل «داود الرقى».

<sup>٣</sup> - الحجر: ١٦ و ١٨.

<sup>٤</sup> - الأمالي: مجلس ٤٨ ص ٢٣٥ ح ١، بحار الانوار: ج ١٥ ص ٢٥٧ ح ٩.

<sup>٥</sup> - علل الشرائع: ج ١ ص ٦٥ ح ١.

<sup>٦</sup> - مفاتيح الغيب: المشهد السادس عشر ص ٢١٧.

ثلاث سماوات ، وهي السابعة و السادسة و الخامسة ، وانحازت اذ ذاك ثلاث من الأرضين ، و استوعبت شريعته بتكميل شريعة موسى عليه السلام من الأعمال بنسبة ذلك ؛ ثمّ لَمَّا تولّد محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم منع لعنه الله ببركته صلى الله عليه و آله و سلّم من جميع السماوات السبع ، و انحازت بذلك جميع الأرضين السبع ، و قذفت الشياطين بالشهب ، و انقطعت الكهانة ، و استوعبت شريعة المقدّسة جميع الأعمال النازلة من السموات السبع ، فافهم ان كنت من أهله ان شاء الله .

واعلم أنّ الشياطين غير منحصرة في الجنّ ، بل ربّما لحق بهم شياطين من الانس أيضاً ، و هو الذى تقتضيه الأصول السابقة ، و هو الفناء في الشيطان . قال تعالى : (شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ) <sup>١</sup> ، و قال تعالى : ( مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ \* الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ \* مِنَ الْإِنِّهِ وَ النَّاسِ ) <sup>٢</sup> .

و في قصص الراوندى مسنداً عن عبدالعظيم الحسنى عليه السلام عن على بن محمد العسكري عليه السلام في حديث ظهور ابليس لعنه الله لنوح عليه السلام : فقال نوح عليه السلام : تكلم . فقال ابليس لعنه الله : إذا وجدنا ابن آدم شحيحاً أو حريضاً أو حسوداً أو جباراً أو عجولاً تلقّفناه تلقّف الكرة ، فان اجتمعت لنا هذه الأخلاق سمّيناه شيطاناً مريداً <sup>٣</sup> .

هذا آخر ما أردنا ايراده من هذه المباحث على ما يسمح به الوقت و سيعه الباع ، والله المستعان ، واليه المصير ، والحمد لله ربّ العالمين ، و صلى الله على محمّد و آله الطاهرين .

و كان الفراغ ليلة الجمعة منتصف شهر محرم سنة ١٣٥٧ ، و فرغ عن كتابته في العشر الأوسط من شهر

صفر سنة ١٣٦١ هجرية قمرية .

و وقعت الكتابة في قرية شاد آباد من أعمال بلدة تبريز .

<sup>١</sup> - الأنعام: ١١٢ .

<sup>٢</sup> - الناس: ٤-٦ .

<sup>٣</sup> - بحار الانوار: ج ١١ ص ٢٨٨ ح ١٠ .